


مكتبة البنين
قسم الدراسات

مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

العدد العاشر ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م

غير مصحح بأسر المكتبة



التربية الخلقية في القرآن الكريم

دكتور

خليفة حسين العسال

الأستاذ المساعد بقسم

الدعوة والثقافة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

■ تقديم ■

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين . المتمم لأخلاق النبيين والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واتبع سنته إلى يوم الدين .
وبعد:

فالأخلاق هي الدعامة الأولى في حفظ كيان الأمم ولهذا اتفقت كلمة الفلاسفة والباحثين على ضرورتها للمجتمع كله في جملته وتوجهت عنايتهم إلى الدعوة إلى الأخلاق الفاضلة .

والأخلاق في الأصل ميثاق مع الله يشمل كل أعمال الإنسان تتفرع منه وتندرج تحته جميع المواثيق ومنشأ الأخلاق من طبيعة الإنسان ذاته ، من أن له طريقين وأن له القدرة على التمييز والاختيار بين أيهما ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ ﴾ .

ومن ثم فالقيمة الخلقية لاصقة بأعمال الإنسان بحكم طبيعته ، وإنما تختلف القيم باختلاف واضعها هل هو الله أم هو البشر؟ فإن كانت من عند الله فهذه هي القيم الحقيقية الصالحة لأنها من عند خالق الإنسان العليم به وبما يصلح له وما يصلحه ﴿ أَلَا يَعْلَمَنَّ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (**). من أجل ذلك كانت رسالة الأنبياء جميعاً الحث على الأخلاق الفاضلة ولذا جعلها الرسول (ﷺ) من أهداف رسالته ، وشدد القرآن الكريم على الاستمسك بها فنوع من أساليبه الداعية إلى تنشئة الناس عليها وتخليقهم بأفضلها أملا في أن يحقق الإنسان عن طريقها السعادة في الأولى والفوز في الآخرة . وبحثنا هذا محاولة جادة للكشف عن بعض الأساليب القرآنية التي تربي الانسان على الأخلاق السامية وتبعث على تهذيب نفسه وإقامتها على الهدى القويم والنهج المستقيم لمن أراد الله له الهداية والرشاد - إنها يتذكر أولوا الألباب .

وبالله التوفيق ، ، ،

** سورة الملك الآية / ١٤ .

* سورة الشمس الآية / ٧ - ١٠ .

■ تمهيد ■

إن الباحث المنصف الذي يقرأ القرآن الكريم متدبراً لآياته متفهماً لمعانيه واقفاً عند أوامره ونواهيه يصل إلى نتيجة حتمية هي أن من أهم المقاصد القرآنية نشر الأخلاق والدعوة إلى الفضيلة والعمل الصالح والنهي عن المنكرات الظاهرة والباطنة فهو أعظم دستور أخلاقي على الإطلاق، فلم يكن مجرد كتاب للعلوم أو الآداب وإنما نزل ليكون كتاب هداية فهو جامع لأسس التربية الأخلاقية التي بها تصلح الحياة وتسعد النفوس، فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر أملاً في أن يصل بالناس إلى أعلى درجات الكمال النفسي والرقى الإنساني قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾^(١) وقال تعالى ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾^(٢).

وقد اتسعت دائرة الأخلاق القرآنية لتستوعب كل عمل إرادى ونشاط إنساني كريم لأن قانون هذه الأخلاق قد رسم منهج السلوك للإنسان في جميع مجالات حياته وعلاقاته في شتى النواحي الفردية والاجتماعية يقول د/ محمد عبدالله دراز: (لا نكتفي بأن نقول إن هذا القانون لم يدع للنشاط الإنساني في ناحيته الفردية والاجتماعية مجالاً حيويًا أو فكريًا أو أدبيًا أو روحياً إلا رسم له منهجاً للسلوك وفق قاعدة معينة بل نقول إنه تحطى علاقة الإنسان بنفسه، وعلاقته ببنى جنسه فشمل علاقته بالكون في جملته وتفصيله، ووضع لذلك كله ما شاء الله من الآداب المرضية والتعاليم السامية، وهكذا جمع ما فرقه الناس باسم الدين وبإسم الفلسفة ثم كان له عليهما المزيد)^(٣) وبناء على هذا تشمل أخلاق القرآن العقيدة والعبادة لأنها تدخل في نطاق علاقة العبد بربه وهي أقدس العلاقات وأولها بالتوجيه والتنظيم والعناية^(٤).

وقد تجسد هذا المعنى في أخلاق رسول الله (ﷺ) حتى أثنى عليه ربه بقوله ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٥) وقد ورد أن سعد بن هشام سأل السيدة عائشة عن خلق رسول الله

(١) سورة الإسراء - ٩

(٢) سورة الأنعام - ١٥٣

(٣) د. محمد عبدالله دراز: دراسات إسلامية ص ١١١ ط ٢ دار القلم الكويت سنة ١٩٧٤م

(٤) د. محمد عبدالله دراز: المختار من كنوز السنة ص ١٠٢ ط ٤ أمير دولة قطر بدون

(٥) سورة القلم - ٤

(ﷺ) فقالت: (ألست تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قالت: فإن خلق نبي الله (ﷺ) كان القرآن^(٦)).

ومعنى ذلك أن نطقه وسكوته وظاهره وباطنه وشغله وفراغه (ﷺ) كان وفق القرآن ونابعاً من أسسه ومبادئه - يقول ابن كثير: (ومعنى هذا أن عليه الصلاة والسلام صار امتثال القرآن أمراً ونهياً سجية له، وخلقاً تطبعه، وترك طبعه الجبلي فمهما أمره القرآن فعله، ومهما نهاه عنه تركه)^(٧).

ويؤكد هذا المعنى قول الشيخ شلتوت رحمه الله (ومن هنا كانت عناية الإسلام بالخلق تفوق كل عناية ولقد وصلت هذه العناية عند الرسول (ﷺ) إلى أن جعل الخلق متعلق رسالته)^(٨).

* مفهوم الخلق:

- في اللغة:

الخلق لغة: معناه: العادة والطبع والسجية، والمروءة والدين^(٩).

وجاء في القاموس الخلق بالضم، وبضمتين: (السجية والطبع والمروءة والدين)^(١٠).

وجاء في لسان العرب (الخلق بضم اللام وسكونها: هو الدين والطبع والسجية، وحقيقته أنه لصورة الإنسان الباطنة، وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها ولها أوصاف حسنة وقيحة)^(١١)

أما في الاصطلاح فقد عرفه بعض العلماء بأنه (عادة الإرادة) ومعنى هذا أن الخلق عبارة عن الميل الراسخ الذي تكتسبه الإرادة نتيجة لممارسة فعل معين، وتكراره مرات

(٦) رواه مسلم - المنذرى مختصر صحيح مسلم رقم الحديث ٣٩٠.

(٧) الحافظ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: ج ٤ ص ٤٠٢ ط حلب ١٩٨٠.

(٨) الشيخ محمود شلتوت: الإسلام عقيدة وشرعية: ص ٤٦٤ ط ١ مطبعة الأزهر - إدارة الثقافة الإسلامية ١٩٥٩.

(٩) مختار الصحاح مادة: خلق، جميل صليبا: المعجم الفلسفي مادة أخلاق.

(١٠) الفيروز آبادي: القاموس المحيط: ج ٣ ص ٢٣٦ ط ٢ مصطفى الحلبي وأولاده ١٩٥٢.

(١١) ابن منظور: لسان العرب ج ١ ص ٨٨٩ ط دار لسان العرب بيروت ١٩٥٥ م.

كافية بحيث يصدر مثل هذا العمل عن الميل المذكور بسهولة ويسر كلما وجد داعيه، كمن تأصلت في إرادته عادة الكرم والميل إليه فإنه يبذل كلما وجدت الظروف الداعية للبذل، وهكذا فهذه العادة والميل الراسخ تسمى خلقاً^(١٢).

وقال بعضهم بأنه: (تغلب ميل من الميول على غيره باستمرار)^(١٣) والتعريفان بمعنى واحد وعلق الدكتور / محمد يوسف موسى مقارنا بينهما فقال: (. . . كما يتضح أيضاً التعريف الثاني الذي ذكرناه سابقاً، وهو (تغلب ميل من الميول على الإنسان باستمرار، فإن هذا الميل الذي صار رغبة لإرادة هو الهيئة النفسية، وتغلبه باستمرار معناه أنه صار عادة وخلقاً)^(١٤) هذا وللفلاسفة الإسلاميين تعاريف أخرى للخلق.

قال ابن مسكويه: (الخلق حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية)^(١٥)

وعرفه الإمام الغزالي بقوله (الخلق والخلق عبارتان مستعملتان معاً، يقال فلان حسن الخلق والخلق، أي حسن الباطن والظاهر، فيراد بالخلق الصورة الظاهرة، ويراد بالخلق الصورة الباطنة.

فالخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر ورؤية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً سميت تلك الهيئة خلقاً حسناً، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً)^(١٦).

وقد تناول رحمه الله التعريف السابق بالشرح فقال (وإنما قلنا انها هيئة راسخة لأن من يصدر عنه بذل المال على الدور لحاجة عارضة لا يقال خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ، وإننا اشتدنا أن تصدر منه الأفعال بسهولة من غير روية، لأن من تكلف بذل المال أو السكوت عند الغضب بجهد ورؤية، لا يقال خلقه السخاء

(١٢) د. محمود حمدي زقزوق: مقدمة في علم الأخلاق ص ٣١ ط دار القلم الكويت، الأستاذ أحمد أمين الأخلاق ص ٦٣ دار الكتاب العربي. ط، بيروت ١٩٧٤.

(١٣) د. محمد يوسف موسى: مذكرات في علم الأخلاق ص ٥٠، مقدمة في علم الأخلاق السابق ذكره ص ٣٠.

(١٤) د. محمد يوسف موسى: المرجع السابق ص ٥٣. مطبعة شبرا ومكتبتها بالقاهرة ١٩٣٩م

(١٥) ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ص ٤١ ط ١ المطبعة الأدبية القاهرة ١٣١٧م

(١٦) الإمام الغزالي: احياء علوم الدين ج ٣ ص ١٤٤٠ بتصرف ط دار الفكر بيروت ١٣٥٦هـ.

والحلم .

فهنا أربعة أمور :

أحدها : فعل الجميل والقييح ، والثاني : القدرة عليهما ، والثالث : المعرفة بهما ، والرابع : هيئة للنفس بها تميل إلى أحد الجانبين ، وتيسر عليها أحد الأمرين : إما الحسن وإما القبيح .

وليس الخلق عبارة عن الفعل ، فرب شخص خلقه السخاء ولا يبذل إما لفقد المال أو للمناع ، وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل إما لباعث أو لرياء .

وليس هو عبارة عن القوة ، لأن نسبة القوة إلى الإمساك والإعطاء ، بل إلى الضدين واحدة وكل إنسان خلق بالفطرة قادراً على الإعطاء والإمساك ، وذلك لا يوجب خلق البخل ولا خلق السخاء .

وليس هو عبارة عن المعرفة ، فإن المعرفة تتعلق بالجميل والقبيح جميعاً على وجه واحد ، بل هو عبارة عن المعنى الرابع وهو الهيئة التي بها تستعد النفس لأن يصدر عنها الإمساك أو البذل فالخلق إذن عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة^(١٧) أهد

يقول د/ عبدالستار نوير (ورغم إيضاح الإمام الغزالي لتعريفه وهو شامل لتعريف بن مسكويه فلا زال الأمر بحاجة إلى مزيد من الإيضاح والتحديد ، ذلك أن تلك (الهيئة الراسخة) الواردة بالتعريف ليست صفة لكل جوانب النفس ، وإنما هي صفة لجانب واحد هو جانب القصد والإرادة^(١٨) وبهذا التحديد يتفق تعريف الغزالي وابن مسكويه مع التعريفين السابقين المذكورين لعلماء الأخلاق إذ يكون المراد من الهيئة الراسخة في الإرادة ، هو نفس (عادة الإرادة) وهو نفس تغلب ميل من الميول على إنسان باستمرار ولذا قال الدكتور / محمد يوسف موسى بعد أن ذكر تعريف ابن مسكويه والغزالي وغيرهما (وهذه التعاريف وإن اختلفت ألفاظها وعباراتها متفقة في معانيها ومدلولاتها ولا تختلف جميعها عن التعريفين السابقين أول البحث)^(١٩)

(١٧) المرجع السابق جـ ٣ ص ١٤٤١ .

(١٨) د . عبدالستار نوير : أصول الأخلاق في ضوء القرآن - بحث حولية كلية الشريعة جامعة قطر عدد ٨ سنة ١٩٨٩ ص ٣٩٥

(١٩) د . محمد يوسف موسى مذكرات في علم الأخلاق ص ٥٥ مرجع سابق .

بقى أمر آخر وهو تحديد نوع الأعمال الإرادية التي تتعلق بها وتصدرها هذه الهيئة الإرادية الراسخة فليست كل عادة أو هيئة إرادية تتعلق بأى نوع من الأعمال الاختيارية تسمى خلقاً وإنما الذي يسمى خلقاً هو تلك العادة أو الاستعداد الإرادى الذي يصدر أعمالاً اختيارية توصف بأنها خير أو شر . ومن هنا كان القيدان المذكوران جديرين بالاعتبار في تعريف الخلق وقد نبه على هذا الدكتور دراز بعد أن ذكر تعريف ابن مسكويه والغزالي ثم استخلص في النهاية التعريف الحقيقي التام فقال : (الخلق إذن هيئة أو صفة للنفس غير أن للنفس قوى مختلفة ووظائف متنوعة ، فهناك ملكات الإدراك والتفكير والحكم ، والتخيل ، والتذكر ، وهناك الوجدانات والانفعالات ، وهناك الغرائز والنزعات ، فإذا كانت هذه القوى النفسية كلها تصدر عنها آثارها في سهولة ويسر ، هل يسوغ لنا أن نسمى شيئاً منها خلقاً؟ . . كلا

إذن نحن بحاجة إلى مزيد إيضاح وتحديد يتميز به حقيقة المقصود من هذه التسمية وينجلي بها الابهام الذي تنطوى عليه التعريفات السابقة .

فيقول رحمه الله إن الخلق صفة للنفس في جملتها ولكن في جانب معين من جوانبها وليس هذا الجانب هو جانب العقل والمعرفة ، ولا جانب الشعور والعاطفة ، وإنما هو جانب القصد والإرادة .

ويضيف رحمه الله تقييد آخر فيقول : إن الخلق يتعلق بنوع خاص من الأهداف الإرادية وهي تلك الأهداف التي ينشأ عن اختيارها وصف يعود على النفس بأنها خيرة أو شريرة ، ثم يقول من هاتين الخاصتين نستطيع أن ننظم التعريف التالى : (الخلق هو قوة راسخة في الإرادة تنزع بها إلى اختيار ما هو خير وصلاح (في جانب الأخلاق الحميدة) أو إلى اختيار ما هو شر وجور (في جانب الأخلاق الذميمة) هكذا تتميز الحقيقة الخلقية عما عداها من الصفات النفسية .) (٢٠) .

هذا وقد ورد لفظ (خلق) في القرآن الكريم مرتين لفظاً ومعنى وإن كان القرآن الكريم كله مليئاً بمبادئ الأخلاق السامية التي ترتبط بالعقيدة الصحيحة كما ترتبط

(٢٠) د . محمد عبدالله دراز : دراسات إسلامية ص ٨٧ ط ٢ دار القلم الكويت سنة ١٩٧٤ .

بالعقيدة الصحيحة كما ترتبط بالوجه الآخر للتشريع .

١ - الأولى في قوله تعالى ﴿ إِنَّ هَذَا الْأَخْلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴾^(٢١) وقد وردت هذه الآية في سياق آيات أخرى^(٢٢) من أجل تقييح خلق الجبابرة الظالمين .

فقد أرسل الله تعالى نبيه (هودا) عليه السلام الى قبيلة (عاد) وهي من القبائل العربية البائدة المتفرعة من أولاد (سام بن نوح) و(عاد) اسم لأحد أجدادها .

وكانت هذه القبيلة تسكن أرض الأحقاف جهة اليمن من جنوب الجزيرة العربية ، وموضع بلادهم اليوم قفر - ليس بها سمير ولا أنيس بعد أن كان موطننا للعمران والنعيم المقيم .

وهم قوم من العمالقة - أشداء أقوياء زادهم الله تعالى بسطة في الجسم تهتز الأرض تحت أقدامهم أثناء سيرهم^(٢٣) ، ومن مظاهر الترف عندهم قصور فخمة شاحخة ، وعيون جارية ، بساتين مزهرة نضرة ، وحصون منيعة وقلاع حصينة وكلها لمجرد التباهي بالمقدرة والثراء وللغرور والغفلة عن تقوى الله عز وجل وكانوا أصحاب أصنام وأوثان وهم أول من عبدها بعد الطوفان كما أنهم قوم عتاة غلاظ يتجبرون حتى يبطشون ولا يتحرجون من القسوة في البطش كما هو في سياق أخلاقهم المأخوذ من الآية الكريمة في معرض الحديث عنهم ﴿ وَإِذْ أَبَطْشْتَ بَطْشَ جَبَّارِينَ ﴾^(٢٤) وقد استمر هود عليه السلام في وعظهم مذكراً بتقوى الله والخوف منه سبحانه ، ولم يفته أن يعلن الزهد فيما لدى القوم من عرض الحياة الدنيا ، وأن يترفع عن قيم الأرض الزائلة مع التطلع إلى ما عند ربه من أجر كريم ، وقد عاندوا هذه الدعوة الكريمة محتجين بحجة واهية هي أنهم سائرون على نهج الأولين ، لكن الأمر ينتهي في كلمتين ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكَنَّهُمْ ﴾^(٢٥) .

لقد حبس الله تعالى عنهم المطر ثلاث سنوات نتيجة لسوء خلقهم وهبت عليهم

(٢١) سورة الشعراء - ١٣٧ .

(٢٢) سورة الشعراء ١٢٣ - ١٤٠ .

(٢٣) انظر الصابوني : النبوة والأنبياء ص ٢٢٥ وما بعدها ط ٢ - ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م مكة المكرمة .

(٢٤) سورة الشعراء الآية ١٣٠

(٢٥) سورة الشعراء الآية ١٣٩

الريح العقيم فسلطها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما^(٢٦) ، حتى صارت أجسادهم كأنها أعجاز نخل خاوية .

وكم من أمة بعد (عاد) ظلت تفكر على هذا النحو، وتغتر هذا الغرور، وتبعد عن الله كلما تقدمت في الحضارة، وتحسب أن الإنسان أصبح في غنية عن الله، وهي تنتج من أسباب الدمار لغيرها، والوقاية لنفسها، ما تحسبه واقيا لها من أعدائها ثم تصيح وتمسى فإذا العذاب يصب عليها من فوقها ومن تحتها من أى طريق (إن في ذلك لآية)^(٢٧) .

٢ - الآية الأخرى في قوله تعالى ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَّ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾^(٢٨) .

وفيها وصف الله تبارك وتعالى نبيه محمدا (ﷺ) بالعظمة الأخلاقية وهو وصف لم يرد لأى إنسان آخر بهذه الصورة وفي الآية الكريمة لفت لأنظار الناس إلى أن مبلغ هذه الرسالة الخالدة ليس إنساناً عادياً وإنما هو مؤهل بأجل الأخلاق .

ويستفاد من نزول الآية في أول ما نزل من سور القرآن الكريم أن أساس الإسلام هو الأخلاق وما كانت التشريعات الإسلامية التي حددها الإسلام في الكتاب والسنة إلا لحمايتها، وقد أبرز القرآن الكريم عنصر الأخلاق للنبي (ﷺ) كرد فعل للاستهزاء به مع القلة والضعف وإن سيرته الواقعية لأعظم دليل على خلقه العظيم^(٢٩) .

ومن أجل الأخلاق أن يظل محمد (ﷺ) ثابتاً متواضعاً بعد هذه الشهادة الصادرة من الخالق جل جلاله .

وعلى المسلمين بمقتضى هذه الشهادة النابعة من القرآن الكريم أن يتخذوه (ﷺ) أسوة حسنة لأنه بلغ القمة في الكمال الأنساني، كما كان اهتمامه بالجانب الأخلاقي لأنه مرتكز رسالته، والغاية من إنعام الله تعالى بها على الناس ولهذا فإن الأخلاق في الإسلام ترتكز على الدين نفسه بخلاف الأخلاق في المذاهب الأخرى .

(٢٦) أى شوما أو متتابعة .

(٢٧) انظر الشهيد سيد قطب : في ظلال القرآن ج ٦ ص ٢٦١٠ ط ٧ - ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م دار الشروق - القاهرة

(٢٨) سورة القلم الآية ٤ .

(٢٩) انظر د . عبداللطيف العبد : الأخلاق في الإسلام ص ١٣ - ١٥ بتصرف ط ٢ - ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ القاهرة

* العلاقة بين الإسلام والخلق :

بالنظر إلى الدين من حيث هو معرفة الحق الأعلى وتوقيره، وإلى الخلق من حيث هو قوة النزوع إلى فعل الخير وضبط النفس عن الهوى تبين لنا أن هناك حقيقتين مستقلتين يمكن تصور إحدهما بدون الأخرى تختص أولاها بالفضيلة النظرية والثانية بالفضيلة العملية .

غير أنه لما كانت الفضيلة العملية يمكن أن تتناول حياة الإنسان في نفسه وفي مختلف علاقته مع الخلق ومع الله كان القانون الأخلاقي الكامل هو الذي يرسم طريق المعاملة الإلهية كما يرسم طريق المعاملة الإنسانية، وكذلك لما كانت الفكرة الدينية الناضجة هي التي لا تجعل من الألوهية مبدأ تدبير فعال فحسب بل مصدر حكم وتشريع في الوقت نفسه، كان القانون الديني الكامل هو الذي لا يقف عند وصف الحقائق العليا النظرية، وإغراء النفس بحبها وتقديسها بل يمتد إلى وجوه النشاط المختلفة في الحياة العملية فيضع لها المنهاج السوي الذي يجب أن يسير عليه الفرد والجماعة، وهكذا يصل القانون الديني إلى بسط جناحيه على سائر القوانين المنظمة لعلاقات الأفراد والشعوب بحيث يجعلها جزءاً متمماً لحقيقتها ويصنع كل قواعدها بصبغة القدسية ومنها علم الأخلاق كله، فيصبح اتباع الفضائل الفردية والاجتماعية باباً من أبواب القربات والعبادات الإلهية ونوعاً من الطاعة لأوامر الدين والانقياد لداعي الفطرة السليمة .

ولذلك تكاد لا تخلو حقيقة التدين عن عنصر عملي يكون حلقة الاتصال بين الدين والأخلاق ويتحقق ذلك على الأقل في جانب العبادات، لكن هذا المظهر قد تتناقص حقيقته وتتضاءل صورته حتى يصبح كلمة تعبر عن الحيرة والعجز في التماس طريق التوجه إلى ذلك السر الهائل وإن دين الحنفاء بين عرب الجاهلية هو أوضح مثال لهذه الحقيقة . فقد ذكر ابن هشام عن أحد الحنفاء وهو زيد بن عمرو بن نفيل قوله وهو مسند ظهره إلى الكعبة (اللهم إني لو كنت أعلم أي الوجوه أحب إليك عبدتك به ولكني لا أعلمه)^(٣٠) لكن السؤال الذي يفرض نفسه - ما مدى العلاقة بين كلمتي الدين والخلق؟ .

(٣٠) ابن هشام : السيرة النبوية - ج ١ ص ١٤٤ تحقيق محمد محيى الدين عبدالحمد - القاهرة كتاب التحرير ١٣٨٣ هـ .

إن بين الكلمتين من المرونة في التداخل تارة والاستقلال تارة أخرى ما يجعل من العسير تحديد المراد من كليهما بصفة حاسمة لأنها تخضعان في الاستعمال للقاعدة المعروفة في الكلمات العربية التي من أسرة واحدة مثل (الإيمان والإسلام) و(الرأفة والرحمة) و(البر والتقوى) وغيرها. والمعنى أن هذه الكلمات التوائم كلما اجتمعت في العبارة افرقت في المعنى وكلما افرقت في العبارة اجتمعت أو مالت إلى الاجتماع في المعنى بقدر الإمكان فإذا قلنا فلان ذو (خلق ودين) وجب للخلاص من عيب اللغو والتكرار أن تؤدي كل من الكلمتين معنى مستقلاً منعزلاً تماماً عن الآخر بحيث يختص الدين بالجانب الإلهي والخلق بالجانب الإنساني.

أما إذا اكتفينا بقولنا فلان ذو (دين) لزم اشتغال الدين لمعنى الأخلاق ومعنى ذلك القيام بالفروض الإلهية والواجبات الإنسانية، وليس معنى ذلك أن تصبح كلمة الخلق مرادفة تماماً لكلمة الدين لأن هذه لا تزال تمتاز بعنصر نظري جوهرى لا يمكن سقوطه أو تناسيه ذلك هو عنصر المعرفة بالإله والإيمان به وهو عنصر لا يدخل في حقيقة مفهوم الأخلاق لأنها دائماً ذات طابع عملي، واعتمادها على الدين والإيمان اعتماداً على دعامة ووسيلة لا على جزء متمم لحقيقتها يمكنها الاستغناء عنه ببواعث مختلفة ومتنوعة^(٣١). ولذلك يقول العالم الطبيعي الأمريكي (روبرت ميلليكان) (إن أهم أمر في الحياة هو الإيمان بحقيقة المعنويات وقيمة الأخلاق ولقد كان زوال هذا الإيمان سبباً للحرب العامة وإذا لم نجتهد الآن لاكتسابه أو لتقويته فلن يبقى للعلم قيمة بل يصير العلم نكبة على البشرية)^(٣٢).

من أجل ذلك كان التدين خير ضمان لقيام التعامل بين الناس على قواعد العدالة والنصفة وكان ذلك ضرورة اجتماعية كما هو فطرة إنسانية، فالأديان هي الدافع القوى لتهديب السلوك وتصحيح المعاملة وتطبيق قواعد العدل ومقاومة الفوضى والفساد كما انها تربط بين قلوب معتقيها برباط من المحبة والتراحم والأخوة لا يعد له رباط آخر من الجنس أو اللغة أو الحوار أو المصالح المشتركة ولذلك تباينت غاية الإسلام في الأخلاق عن غاية الفلسفات التي دعت إلى السعادة كما تباينت مع غاية العقائد التي دعت إلى الزهد،

(٣١) د. محمد عبدالله دراز: الدين ص ٥٥ - ٥٨ بتصرف ط ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩ مطبعة السعادة القاهرة.

(٣٢) المشير أحمد عزت باشا: الدين والعلم ص ١٧٣ نقلاً عن الدين (المرجع السابق) ص ١٠٣.

ذلك لأن الإسلام قد ربط الأخلاق بالدين وجعلها سداً منيعاً في وجه الانحلال والفساد للفرد والانهار للمجتمعات، وأقام العلاقة الصحيحة بين الإنسان ونفسه وبينه وبين مجتمعه وجعلها وسيلة إلى إصلاح الحياة الدنيا وإلى الجزاء في الآخرة قال تعالى ﴿ وَبَشِّرْ فِيْمَاءَ آتِنَاكَ اللهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلَا تَتَّبِعِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (٣٣).

وقاعدة الإسلام الأخلاقية أنه لا يمنع الإنسان شيئاً من رغباته ولكنه يحميه منها بأن يضعها في قوالب ويضع لها ضوابط وخاصة فيما يتعلق بالطعام والمال والجنس^(٣٤) فيعمل على الموازنة بين عقله وقلبه وبين حاجاته وغاياته وبين روحه وجسده في سبيل الوصول الى الغاية العليا وهي ترقية الحياة والارتفاع بالإنسان إلى الصورة الكريمة التي تليق به .

* مدى ارتباط الخلق بالعقيدة :

للأخلاق القرآنية محل رفيع ومكان فسيح فهي تتسع لكل عمل إرادى ونشاط إنساني كريم لأن قانون هذه الأخلاق قد رسم منهج السلوك للإنسان في جميع مجالات حياته وعلاقاته في شتى النواحي الفردية والإجتماعية يقول الدكتور دراز (لا نكتفي بأن نقول إن هذا القانون لم يدع للنشاط الإنساني في ناحيته الفردية والإجتماعية مجالاً حيويًا أو فكريًا أو أدبيًا أو روحياً إلا رسم له منهجاً للسلوك وفق قاعدة معينة بل نقول إنه تخطى علاقة الإنسان بنفسه وعلاقته ببنى جنسه، فشمّل علاقته بالكون في جملته وتفصيله، ووضع لذلك كله ما شاء الله من الآداب المرضية والتعاليم السامية وهكذا جمع ما فرقه الناس باسم الدين وباسم الفلسفة ثم كان له عليهما المزيد).

وبناء على هذا تشمل أخلاق القرآن العقيدة والعبادة لأنها تدخل في نطاق علاقة العبد بربه، وهي أقدس العلاقات وأولاها بالتوجيه والتنظيم والعناية^(٣٥).

ومما يؤكد ارتباط الخلق بالعقيدة الدينية رباطاً وثيقاً ما ورد أن رجلاً جاء إلى رسول

(٣٣) سورة القصص الآية ٧٧.

(٣٤) انظر الأستاذ أنور الجندي : الإسلام والدعوات الهدامة ص ١٨١ - ١٨٣ بتصرف ط ١ - ١٩٧٤م بيروت.

(٣٥) د . محمد عبدالله دراز : دراسات إسلامية ص ١١١ ط ٢ دار القلم الكويت ١٩٧٤م

الله (ﷺ) فقال يارسول الله ماالدين؟ فقال الرسول (ﷺ): (حسن الخلق)^(٣٦) ومعناه أن حسن الخلق ركن عظيم في الإسلام ولذا ورد عن ابن القيم رحمه الله قوله (الدين هو الخلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين)^(٣٧) غير أن الدين لا يقف عند حد الدعوة الى مكارم الأخلاق وتمجيدها بل هو الذي يرسى قواعدها ويحدد معالمها، ويضبط مقاييسها الكلية، ويضع الأمثلة للكثير من جزئيات السلوك، ثم يعزى بالاستقامة، ويحذر من الانحراف، ويضع الأجزئة مثوبة وعقوبة على كلا السلوكين نصب العين، وقد أثر عن الزعيم الهندي (غاندى) قوله: (إن الدين ومكارم الأخلاق هما شيء واحد لا يقبلان الانفصال ولا يفترقان بعضهما عن بعض فهما وحدة لا تتجزأ. إن الدين كالروح للأخلاق وبعبارة أخرى إن الدين يغذى الأخلاق، وينعشها وينميها كما أن الماء يغذى الزرع وينميه^(٣٨)) فبدون العقيدة الدينية لا يمكن أن تكون هناك أخلاق وبدون أخلاق لا يمكن أن يكون هناك قانون لأن الدين هو المصدر الفذ المعصوم الذي يعرف منه حسن الأخلاق من قبيحها، والدين هو الذي يربط الإنسان بمثل أعلى يتطلع إليه ويعمل له، ويربى فيه الضمير الحى الذي على أساسه يرتفع صرح الأخلاق.

ومن هنا كان الإنسان الذي ليس له عقيدة دينية لا غاية لوجوده ولا رسالة له في الحياة، أما المؤمن فإنه يعمل لهدف رفيع ويعيش لرسالة كبيرة هي القربى إلى الله والسعى في مرضاته والتخلق بأخلاقه واضعاً نصب عينيه قوله تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ . . الخ قوله تعالى: وَالْمُسْتَفْزِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾^(٣٩) وهذا هو المثل الأعلى للمؤمن، ولذا كان الإيمان والصلاح والأخلاق عناصر متلازمة لا يستطيع أحد تمزيق عراها، فالأخلاق موصولة بالإيمان وتقوى الله قال تعالى: ﴿فَاتَّبِعُوا إِلَهُكُمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مَدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾^(٤٠).

وفي الحديث الشريف (لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له)^(٤١) فالإيمان

(٣٦) أخرجه محمد بن نصر المروزي من رواية أبي العلاء بن الشقير مرسلًا - محمد جمال الدين القاسمى - موعظة المؤمنين ج ٢ ص ٢٦٦ .

(٣٧) ابن القيم : مدارج السالكين ج ٢ ص ٢٠٧ ط السنة المحمدية .

(٣٨) راجع د . يوسف القرضاوى الإيمان والحياة ص ٢٠٨ - ٢١١ بتصرف ط ٤ مؤسسة الرسالة ١٩٧٩ .

(٣٩) سورة آل عمران الآية ١٤ - ١٧ .

(٤٠) سورة التوبة الآية ٤ .

(٤١) رواه الإمام أحمد في مسنده ج ١ / ٣ ، ١٣٥ ، ١٥٤ .

لابد أن يورث الأخلاق الحسنة وعلى رأسها الأمانة وحفظ العهد فمن فقد الأمانة وضيع العهد كان ذلك إيذاناً بخلوه من معاني الإيمان المطلوبة منه وتفريطه في تقوى الله^(٤٢). وفي حديث آخر (والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قيل من يارسول الله؟ قال الذي لا يأمن جاره بوائقه)^(٤٣) وفيه دلالة على أن الأخلاق السيئة تنافي الإيمان وتناقضه وأنه لا يجتمع الإيمان والخلق الرديء والإيمان باعتباره عملاً إرادياً يصير ملكة وخلقاً بالعمل بموجبه والمداومة عليه يشير إلى هذا قول الدكتور دراز في تفاوت الإيمان فيقول (وأما تفاوته من طريق ثمرته وهي العمل فبيانه أن الفكرة النظرية التي تأخذ آثارها العملية تبقى ماثلة في الوجدان لا تزاحمها الأضداد، ولا يغطي عليها النسان لأنها حاضرة غالباً في مركز الفكر أو كما يقول علماء النفس في بؤرة الشعور، فهي تستمد من العمل بها قوة وثباتاً وإشراقاً حتى تصبح للنفس ملكة وخلقاً وكذلك يستمد منها العمل سهولة ويسراً عند العودة إليها مرة أخرى وهكذا كلما ازداد تكرار العمل بمقتضى تلك الفكرة ازدادت قوة في نفسها واستعداداً لإنتاج أمثاله من الأعمال بدون تكلف وازداد العمل لصوقاً بالنفس حتى يكون انتزاعه ومفارقته أشبه بانتزاع الغرائز ولذلك قيل (العادة طبيعة ثانية) وبعكس ذلك من كثر تهاونه بتطبيق العلم على العمل نقص من قوة علمه وثبات عقيدته بمقدار تهاونه بالعمل وتضييعه له)^(٤٤).

فإذا تمت الرذائل في النفس وتفاقم خطرهما انسلخ المرء من دينه وعقيدته وأصبح ادعاؤه للإيمان زوراً وبهتاناً فما قيمة دين بلا خلق؟ وتقريراً لهذه المبادئ الواضحة في صلة الإيمان بالخلق القويم قال (ﷺ) (ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وحج واعتمر وقال إني مسلم) (إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان)^(٤٥) ولذا كان من مشروعية التكرار في العبادات أن يتعود المسلم على الأخلاق الفاضلة ويتجنب الرذائل والمفاسد فهي له طهرة وزكاة وقوة ووقاية والقرآن الكريم يكشف بوضوح عن هذه الحقائق فيؤكد الحكمة التي من أجلها أمر الله بإقامة الصلاة فقال ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ

(٤٢) د. عبدالكريم زيدان : أصول الدعوة ص ٨٦ ط ٣ دار عمر بن الخطاب بالاسكندرية ١٩٧٦ .

(٤٣) رواه البخاري - كتاب الأدب ج ٢ ص ١٢ وأخرجه مسلم من حديث العلاء عن أبيه عن أبي هريرة بلفظ : (ولا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه) كتاب الإيمان ج ١ ص ٢٢١ .

(٤٤) د. محمد عبدالله دراز : المختار من كنوز السنة ص ١٠٢ .

(٤٥) رواه مسلم كتاب الإيمان باب خصال المنافق ج ١ ص ٧٨ ، مسلم بشرح النووي ج ٢ ص ٤٦ ، ٤٧ .

الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴿٤٦﴾ فالإبعاد عن الرذائل والتطهير من سوء القول وسوء العمل هو حقيقة الصلاة، والزكاة المفروضة ليست ضريبة تؤخذ من الجيوب بل هي أولاً غرس لمشاعر الحنان والرأفة وتوطيد لعلاقات التعارف والألفة بين شتى الطبقات.

وقد نص القرآن الكريم على الغاية من إخراج الزكاة بقوله تعالى ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ (٤٧) فتنظيف النفس من أدران النقص، والتسامي بالمجتمع إلى مستوى أنبل هو الحكمة الأولى، وكذلك شرع الإسلام الصوم فلم ينظر إليه على أنه حرمان مؤقت من بعض الأطعمة والأشربة بل اعتبره خطوة إلى حرمان النفس دائماً من شهواتها المحظورة ونزواتها المنكورة. وإقراراً لهذا المعنى قال الرسول (ﷺ) (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه) (٤٨) والقرآن الكريم يذكر ثمرة الصوم بقوله ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (٤٩)، والحج تربية عملية للروح ورياضة مؤثرة في النفس ووسيلة فعالة لاكتساب كثير من الأخلاق والتخلص من كثير من ذميم الصفات قال تعالى ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَنْ تَعَلَّوْا مِنْ حَيْثُ يَعْلَمَهُ اللَّهُ تَكَرَّوْا وَأَفِيَاتٍ حَيْرَ الزَّادِ النُّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴾ (٥٠) ومن العرض المجمل لبعض العبادات التي اشتهر بها الإسلام وعرفت على أنها أركانها الأصيلة نستين منه متانة الأواصر التي تربط الدين بالخلق، ولكنها ليست كل العبادات في الإسلام، فالإسلام يوسع دائرة العبادة حتى تشمل كل حركة الحياة، فكل عمل في خدمة الحياة يعملها الإنسان امتثالاً لأوامر الله تعالى فهو عبادة وكل عمل يتركه الإنسان امتثالاً لأمر الله فهو عبادة ومن ثم تشمل العبادة بمعناها الواسع حركة الحياة كلها إذا تمت هذه الحركة وفق منهج الله وابتغى بها رضاه مصداقاً لقوله تعالى ﴿ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٥١) فالعبادات في الإسلام هي مدارج الكمال المنشود وروافد التطهر الذي

(٤٦) سورة العنكبوت الآية ٤٥.

(٤٧) سورة التوبة الآية ١٠٣.

(٤٨) رواه البخاري كتاب الصوم جـ ٣ ص ٦١، الإمام أحمد في مسنده جـ ٢ / ٥٣٢.

(٤٩) سورة البقرة الآية ١٨٣.

(٥٠) سورة البقرة الآية ١٩٧.

(٥١) سورة الأنعام الآية ١٦٢.

يصون الحياة ويعلى شأنها ولهذا أعطيت منزلة كبيرة في دين الله فإذا لم يستفد المرء منها ما يزكى قلبه وينقى لبه ويوثق صلته بالله وبالناس فقد ضل ضلالاً مبيناً^(٥٢).

ومرد الأمور كلها في ذلك الله هو المرجع الذي يرجع إليه في كل أمر ودستوره هو الدستور الأخلاقي الذي يستشار في كل لحظة! يستشار في داخل القلب، وفي وعي العقل، وفي واقع السلوك بما يؤكد وحدة الإسلام في كل مقوماته الذاتية لأنه هو القاعدة الرئيسية للتربية الخلقية.

* منزلة الأخلاق في الإسلام:

تتبع الأخلاق في الإسلام المكانة السامية والمنزلة الرفيعة فهي قاعدة السعادة في الأولى والآخرة ولا يتصور أن يسعد المرء بدونها ولا أن يصلح حاله ولا حال مجتمعه غيرها وعن طريقها يكمل شأن الإنسان ويسمو بطباعه وعاداته حتى يحقق النجاح والشرف والكمال فينعكس على مجتمعه بالألفة والمحبة والبر والهدى فهي قاعدة الأمة في أداء رسالتها ووسيلتها في الخلاص من أدوائها ومشكلاتها وتوضح قيمة الأخلاق بما يأتي:-

١ - تعليل البعثة المحمدية بإتمام القيم الفاضلة والأخلاق العالية وإشاعة مكارم الأخلاق كما جاء في حديث النبي (ﷺ) قوله: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)^(٥٣).

٢ - التعريف للدين بحسن الخلق فقد ورد في الحديث أن رجلاً جاء إلى النبي (ﷺ) فقال: يا رسول الله . مالدين؟ فقال الرسول (ﷺ) (حسن الخلق)^(٥٤) وهذا معناه أن حسن الخلق ركن الإسلام العظيم الذي لا قيام للدين بدونه.

٣ - إن حسن الخلق من أكثر ما يرجح كفة الحسنات يوم الجزاء فقد جاء في الحديث

(٥٢) الشيخ محمد الغزالي: خلق المسلم ص ٨ - ٩ ط ٨ حسان بالقاهرة ١٩٧٤ .
(٥٣) الحديث رواه البخاري في الأدب والبيهقي في الشعب والحاكم في المستدرک وصححه وقال ابن عبد البر حديث متصل من وجوه صحاح عن أبي هريرة وغيره . ورواه الإمام أحمد من حديث أبي هريرة بلفظ (إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق) المسند ج ٢ ص ٣٨١ ، وفي الموطأ برقم ١٦٣٤ عن مالك أنه بلغه أن رسول الله (ﷺ) قال: (بعثت لأتمم حسن الأخلاق) ورواه الحاكم وصححه . والمعنى أنه (ﷺ) إنما أرسل ليكمل الناقص ويجمع المتفرق منها لاشيء آخر .

(٥٤) أخرجه محمد بن نصر المروزي من رواية أبي العلاء بن الشفير مرسلًا - محمد جمال الدين القاسمي: موعظة المؤمنين ج ٢ ص ٢٦٦ .

الشريف عن النبي (ﷺ) (ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن وإن الله ليبغض الفاحش البذيء) (٥٥)

٤ - المؤمنون يتفاضلون في الإيثار وأفضلهم فيه أحسنهم أخلاقاً كما جاء في الحديث الشريف (قيل يا رسول الله أي المؤمنين أفضل إيماناً؟ قال: أحسنهم خلقاً) (٥٦).

٥ - إن المؤمنين يتفاوتون في الظفر بحب رسول الله (ﷺ) وقربهم منه يوم القيامة وأكثر المؤمنين ظفراً بحب رسول الله (ﷺ) والقرب منه أولئك المؤمنون الذين حسنت أخلاقهم حتى صاروا فيها أحسن من غيرهم كما ورد عن النبي (ﷺ) (إن أحبكم إلى وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً) (٥٧).

٦ - لا بد للفوز بالجنة والنجاة من النار أن يتخلق المؤمن بمحاسن الأخلاق فهو أمر محتم وشرط لازم، والتفريط فيه لا يغني عنه حتى الصلاة والصيام لما روي أن بعض المسلمين قال للرسول (ﷺ) إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهي سيئة الخلق تؤذى جيرانها بلسانها قال: (لا خير فيها هي من أهل النار) (٥٨).

٧ - ثبت عن النبي (ﷺ) أنه كان كثير الضراعة والابتهال دائم السؤال لله تعالى أن يزيه بمحاسن الآداب ومكارم الأخلاق. وهو ذو الأخلاق الحسنة فكان (ﷺ) يقول في دعائه (اللهم حسن خلقي وخلقي) (٥٩).

ومن المعلوم أن الرسول (ﷺ) لا يدعو إلا بما يحبه الله ويقربه منه.

٨ - مدح الله تعالى رسوله الكريم (ﷺ) بحسن الخلق فقد جاء في القرآن الكرم قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ﴾ (٦٠).

(٥٥) رواه أبو داود في سننه وابن حبان في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها - حديث حسن - انظر المناوي: فيض القدير رقم ٢٠٩٨.
(٥٦) أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة بلفظ (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً. .) الحديث ١١٦٢ وأخرجه أبو داود والنسائي والحاكم، وأخرجه الطبراني من حديث أبي أمامة (أفضلكم إيماناً. .) وأخرجه الإمام أحمد ج٢/ ٢٥٠، ٤٧٢، ٥٢٧) وأخرج من حديث جابر بن سمرة: (إن الفحش والتفحش ليسا من الإسلام وإن حسن الناس إسلاماً أحسنهم خلقاً) المسند ج٥ ص ٨٩، ٩٩.
(٥٧) رواه الترمذي عن جابر وقال حديث حسن - سنن الترمذي ج٤ / ٢٠١٨.
(٥٨) رواه الإمام أحمد من حديث طويل لأبي هريرة - المسند ج٢ ص ٤٤٠ وأخرجه الحاكم من حديث أبي هريرة، وقال صحيح الإسناد.
(٥٩) رواه الإمام أحمد من حديث عبدالله بن مسعود أن رسول الله (ﷺ) كان يقول (اللهم أحسن خلقي فأحسن خلقي) ج١ ص ٤٠٣، وروى نحوه من حديث عائشة أم المؤمنين: ج٦/ ٦٨، ١٥٥.
(٦٠) سورة القلم الآية ٤.

والله تعالى لا يمدح رسوله إلا بالشيء العظيم مما يدل على عظمة منزلة الأخلاق في الإسلام.

٩ - ما ورد في القرآن الكريم من الآيات الكثيرة المتعلقة بموضوع الأخلاق أمراً بالخير منها، ومدحاً للمتصفين به، ونهياً عن الردىء منها، وذم المتصفين به، ولا شك أن كثرة الآيات في موضوع الأخلاق يدل على أهميتها، ومما يزيد في هذه الأهمية أن هذه الآيات منها ما نزل في مكة قبل الهجرة ومنها ما نزل في المدينة بعدها مما يدل على مكانة الأخلاق وأهميتها فلا يمكن الاستغناء عنها بتاتا، وأن مراعاة الأخلاق يلزم المسلم في جميع الأحوال، فهي تشبه أمور العقيدة من جهة عناية القرآن الكريم بها في سورة المكية والمدنية على حد سواء^(٦١).

والقرآن الكريم منبع فياض للتربية الأخلاقية فجعل القرآن إن لم يكن كله جاء لتربية الإنسان وتوجيهه نحو الخير ومن يتلو القرآن باستمرار تلاوة متيقظ طالب للهداية متدبر لما فيه من أحكام وتوجيهات يجد فيه قوة روحية عظيمة كلها تعاليم أخلاقية بالمعنى الشامل، هذا إذا نظرنا إلى القرآن كعلم من الناحية النظرية، أما إذا نظرنا إليه من ناحية التطبيق وجدنا أنه أسمى أنواع السلوك الأخلاقى لأنه هو الصورة العملية لتوجيهاته العلمية.

أما إذا نظرنا إلى اعتياده والتخلق به بمعنى التطبع به وجدناه أعظم الأخلاق وأكرم الشيم ولذلك كان خلق رسول الله (ﷺ).

* أساليب القرآن في تهذيب الأخلاق:

للقرآن الكريم طريقتة المثلى وأساليبه المتنوعة التي يهدف من خلالها إلى تذكير الإنسان بالتمسك بالفضيلة، والبعد عن الرذيلة بالعظة البليغة، والتوجيه التربوي الرشيد أملاً في صلاح الفرد فتسعد الأمة وتستقر المجتمعات الإنسانية بكاملها ومن الأساليب القرآنية ما يأتي:

(٦١) انظر: د/ عبدالكريم زيدان: أصول الدعوة ص ٧٦ - ٧٨ بتصرف ط ٣ دار عمر بن الخطاب اسكندرية ١٩٧٦م.

* أولاً : الوعظ والإرشاد :

الوعظ لغة : هو والعظة والموعظة بمعنى النصح والتذكير بالعواقب سواء أكان بالاستمالة والترغيب أم بالزجر والترهيب . قال ابن سيده : هو تذكير الإنسان بما يلين قلبه من ثواب وعقاب يقال وعظته فاتعظ إذ أثرت فيه الموعظة وأفادته^(٦٢) .

وفي الاصطلاح : يطلق على القول الحق الذي يلين القلوب ويؤثر في النفوس ويكبح جماح النفوس المتمردة ويزيد النفوس المهذبة إيماناً وهداية^(٦٣) .

أما الإرشاد لغة : فهو الرشاد والرشد بضم الراء والرشد بفتحات : الهداية والاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه ، يقال استرشد الشخص إذا طلب الرشد أو اهتدى^(٦٤) .

أما في الاصطلاح : فهو الهداية إلى الطريق الموصل إلى المطلوب^(٦٥) .

وقد يطلق الوعظ والإرشاد في عرف الخطباء والأدباء على الخطابة الدينية سواء أكانت تعليمية لبيان المسائل الشرعية الاعتقادية أو العملية أو الخلقية أم تأديبية لإيقاظ الناس من غفلتهم بالتذكير والإنذار .

وإجمالاً : فالوعظ هو النصح والتذكير بالخير والحق على الوجه الذي يرق له القلب ويبعث على العمل . والإرشاد : الحث على الخير والتحذير من الشر على الوجه المتقدم وهو الترغيب والترهيب . والتذكير : تعريف الخلق نعم الله عليهم وحثهم على شكره وتحذيرهم من مخالفته^(٦٦) والتذكر : يقال على الاتعاظ ومنه قوله تعالى ﴿ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مِنْ يُنِيبٌ ﴾^(٦٧) وقوله ﴿ سَيَذَكَّرُنَّ مَحْتَقَى ﴾^(٦٨) ومثله الادكار ﴿ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾^(٦٩) وقد

(٦٢) ابن منظور : لسان العرب مادة وعظ ط دار لسان العرب بيروت ١٩٥٥ .

(٦٣) الشيخ على محفوظ : هداية المرشدين . ط ٩ دار الاعتصام بالقاهرة ١٩٧٩ .

(٦٤) الفيروز أبادي : القاموس المحيط ط ٢ مصطفى الحلبي وأولاده ١٩٥٢ مادة رشد .

(٦٥) هداية المرشدين - مرجع سابق ص ٧١ ، ٧٢ .

(٦٦) سورة غافر الآية ١٣ .

(٦٧) سورة الأعلى الآية ١٠ .

(٦٨) سورة القمر ١٧ ، ٢٢ ، ٣٢ ، ٤٠ ، ٥١ .

يطلق الوعظ ويراد منه استثارة المشاعر الدينية بكل ما ينبهها من رقتها لتنبعث إلى عمل الخير وإلى الثبات على الحق قال تعالى ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (٧٠) وقال: ﴿ وَادْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْكُمْ مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ ﴾ (٧١).

* أسلوب الموعظة في القرآن الكريم:

بالتأمل في آي الذكر الحكيم نستخلص أن الوعظ والإرشاد مهنة الأنبياء مع أمهم، به يهدفون إلى تغيير ما بنفوسهم حتى يغير الله ما بهم من فساد، وكل وعظ لا يبلغ هذا الهدف ولا يرمى إلى هذه الغاية، فهو جهد ضائع وعمل باطل، ومن خلاله قدم الأنبياء العلاج الملائم لإرشاد النفوس، وأقرب الطرق للتأثير على القلوب، ورسل الله جميعاً عملوا جاهدين للوصول إلى هذه الغاية وتنوعت أساليبهم في الوعظ والإرشاد تبعاً لاختلاف الأمراض الاجتماعية وتنوع الأحوال والأسباب ويمكن حصر أسلوب الموعظة في القرآن الكريم فيما يأتي:-

١ - الترغيب:

ويقصد به كل ما يشوق العباد إلى الاستجابة لداعى الله وقبول الحق والثبات عليه والملاحظ أن القرآن الكريم يكثر من ترغيب الناس في قبول دعوة الإسلام والتحذير من رفضها مما يدل على أهمية هذا الأسلوب. والأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضا الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة وهذا هو نهج الرسل الكرام وإلى الترغيب يشير قوله تعالى ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ (٧٢) كما أن الوعد بالخير يشمل نعم الدنيا والآخرة وسعادتهما قال تعالى: ﴿ مَن عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنشَأَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٧٣) من أجل ذلك كان وعد الله بالمشوبة على ما يقدم الإنسان من خير أو يسدى لغيره من معروف أو يؤدى به حقاً لله عليه ويأتي في صورتين:-

(٧٠) سورة آل عمران الآية ١٣٨ .

(٧١) سورة البقرة الآية ٢٣١ .

(٧٢) سورة الإسراء الآية ٩ .

(٧٣) سورة النحل الآية ٩٧ .

الأولى : صورة الجزاء العاجل كما في قوله تعالى : ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ . إِلَى قَوْلِهِ وَلَسِبَدَلْتَهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ (٧٤) والأمن في الدنيا بالنصر والتمكين ، وفي الآخرة بالرضا والنعيم المقيم .

الثانية : صورة الجزاء الآجل فيما يستقبله يوم القيامة حين تتلقاه الملائكة مع إخوانه بالبشرى قائلة ﴿ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (٧٥) ويجمع صورتين قوله تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلِلَّذِينَ فِي الآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٧٦) وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا . . . إِلَى قَوْلِهِ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾ (٧٧) والآيات في هذا الباب كثيرة كالترغيب في طاعة معينة وفي أنواع الفضائل وفي إتقان العمل وزيادة الإنتاج . . الخ .

٢ - الترهيب :

وهو يعني كل ما من شأنه حمل الإنسان على البعد عن المعاصي صغيرها وكبيرها فضلاً عن اقترافها والتردى فيها والأصل فيه أن يكون بالتخويف من غضب الله وعذابه في الآخرة كما في قوله تعالى ﴿ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (٧٨) والترهيب والوعيد يشمل نعم الدنيا والآخرة وشقاءهما قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ (٧٩) وما أكثر ما ورد في كتاب الله من الآيات التي تحذر من المعصية وتذكر بعاقبة ذلك من غضب الله وانتقامه . وكذا الآيات التي تحذر من العقوبة على آحاد الذنوب كالقتل والزنا والسرقة . . الخ وكذا تذكير الإنسان بأن ما يتلى به سببه اقتراف السيئات قال تعالى : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾ (٨٠) ... وهكذا .

(٧٤) سورة النور الآية ٥٥ .

(٧٥) سورة الأنبياء الآية ١٠٣ .

(٧٦) سورة النحل الآية ٣٠ .

(٧٧) سورة فصلت الآية ٣٠ .

(٧٨) سورة الإسراء الآية ١٠ .

(٧٩) سورة طه الآية ١٢٤ .

(٨٠) سورة الشورى الآية ٣٠ .

* أنواع الموعظة: الموعظة نوعان: تعليم ، وتاديب:

* الأول : التعليم:

ويكون ببيان عقيدة التوحيد والأحكام الشرعية الخمسة من الواجب والحرام والمسنون والمكروه والمباح فضلا عن أنها وسيلة للعلم بما تتضمنه فإنها دعوة الى التمسك بها والتحذير من التهاون فيها، وكذا في باب المعاملات كما في قوله تعالى: ﴿ وَسَعَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ . . . الآية ﴾^(٨١) وفيها يبين الله الأحكام المتعلقة به ويتبع ذلك بيان ما ينفر منه مع الترغيب في التوبة عند الزلل والحرص على الطهارة ، وفي قوله سبحانه ﴿ نَسْأَلُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ ﴾^(٨٢) يأمر في نهايتها بالتقوى ويحذر من فعل ما نهى الله عنه في قوله جل شأنه ﴿ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾ أي في موضع الحرث ﴿ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ ﴾ أي ما ينفعكم عند لقاء ربكم ويشيكم عليه وقوله ﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي الذين يقفون عند حدود الله ويهتدون بهديه، وفي هذا النوع من الموعظة تبصير بحكمة الله في أمره ونهيه حين وجه الرجال إلى أن النساء موضع الحرث ومنجبة الذرية وأمر بالتزام الطريق الأمثل في إتيانهم كما حذر من المخالفة، فأندر من العاقبة السيئة التي تنتظر المخالف، وبشر من استجاب لداعى الإيمان فأتمر بأمر الله واجتنب نواهيه وهكذا في جميع الشرائع، وإن نشر مفاهيم الإسلام واجب على كل مسلم فمن كان عنده علم فلا يجوز كتمانها كقوله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لُبِّيْنَهُ، لِلنَّاسِ وَلَا تَكْفُرُونَهُ ﴾^(٨٣) لا سيما عند شيوع الجهل وظهور البدع^(٨٤) يقول ابن كثير (فالواجب على العلماء الكشف عن معانى كلام الله وتفسير ذلك وطلبه من مظانه وتعلم ذلك وتعليمه وتفهمه وتفهمه)^(٨٥) والواجب أن يقترن العلم بالتطبيق اقتداء بمنهج السابقين الأولين يقول عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: (كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن)^(٨٦) وهذا أمر ضرورى لا غنى للمسلم عنه لأن من يتعلم ولا يعمل بعلمه يكون عرضة للانقلاب والانزلاق عند أول

(٨١) سورة البقرة الآية ٢٢٢ .

(٨٢) سورة البقرة الآية ٢٢٣ .

(٨٣) سورة آل عمران الآية ١٨٧ .

(٨٤) د . عبدالكريم زيدان : أصول الدعوة ص ٤٢٦ ط ٣ دار عمر بن الخطاب للطباعة والنشر - اسكندرية - مصر ١٩٧٦ ، الشيخ ابراهيم

الدسوقي : الدعوة الإسلامية علماً وعملاً . ط وزارة الأوقاف عدد ١٨ - ١٩٨٧ م .

(٨٥) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٣ .

فتنة أو ابتلاء وما أكثر فتن الدنيا وابتلاءاتها قال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ ۗ .. الخ الآية ﴾ (٨٧).

* الثاني : التأديب :

وهو النوع الثاني من أنواع الموعظة وأظهر ما يكون في الحث على التمسك بالفضائل والتجمل بالأخلاق الحسنة . كالصدق والأمانة والعفة والمروءة والحلم والصبر . . الخ وبيان آثارها في الفرد والمجتمع والتحذير من الوقوع في الرذيلة كالكذب والخيانة والجبن والغدر . . الخ والآيات الواردة في هذا الباب كثيرة كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ (٨٨) وقوله تعالى : ﴿ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ (٨٩) وهكذا .

ومن معالم العظة وأصولها شد المسلم إلى غاية عليا ينقضى عمره ولا ينتهي من التحليق إليها والسير الحثيث إلى سبيلها، هذه الغاية هي الله جل جلاله ونوال رضاه والتلذذ بذكره والتنعم بعبادته والتطلع الى ما عنده، وهذه الغاية لا تنال بالأمانى الفارغة مع القعود والكسل فإن من يريد الوصول إليها عليه بالترود بخير زاد وهو زاد التقوى وجعل حياته كلها لله رب العالمين، وكان (ﷺ) دائماً يذكر المسلمين بهذه المعانى حتى إن أول خطبة خطبها في المدينة كانت في الحث على تقوى الله والتعلق بالآخرة (٩٠).

وليس هناك أبلغ في التأثير بالموعظة من الاتصال بكتاب الله العظيم تلاوة وتأملاً وفهماً وفتح منافذ القلب إلى هذا الكتاب العظيم لتنساب أنواره إلى كيان المسلم فتزيل أدواءه وظلمته، وتبعث فيه الحياة الحقيقية، فالقرآن الكريم كما وصفه الله نور وهدى وشفاء وروح، ولا يبقى مع النور ظلمة، ولا مع الهدى شك، ولا مع الشفاء داء، ولا مع الروح موت قال تعالى ﴿ ... فِي هَذَى لِّلنَّفِيِّنَ ﴾ (٩١) وقال : ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ

(٨٧) سورة الحج آية ١١ .

(٨٨) سورة النساء الآية ٥٨ .

(٨٩) سورة هود الآية ١٨ .

(٩٠) ابن هشام : السيرة النبوية : ج ٢ ص ١١٨ تحقيق محمد محي الدين عبدالحمد القاهرة - كتاب التحرير ١٣٨٣ هـ .

(٩١) سورة البقرة الآية ٢ .

وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٢﴾ وقال ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾ ﴿٩٣﴾ وبهذا الأسلوب تصح القلوب وتزكو وتشرق بالهدى والنور ، فيتجمل الإنسان بمكارم الأخلاق وجميل الفضائل ، ومحامد الخصال .

* ثانياً : القصة القرآنية :

أهميتها في البيئة العربية : لازمت القصة الإنسان منذ وجوده، وارتبطت بحياته يصنعها بفكره ويتحدث عنها ثم يستمع لها، استثارة بوقائعها، وتجديدا لأحداثها، وقد عانت البيئة العربية شدة وقسوة من أجل لقمة العيش فجاهدت وكافحت، وسجلت حياتها قصصا باقياً للرواة يحفظونه ويتناقلونه على مر الزمن وفي سائر البقاع، وكانت القصة تثير العربي وتؤثر فيه، وتجذب انتباهه ليعيش مع أحداثها وعناصرها، كما كانت قريش تستملحها، وكان النضر بن الحارث يشتري كتب الأعاجم ويحدث بها قريشا ويقول : إن محمداً يحدثكم بحديث عاد وثمود وأنا أحدثكم بأحاديث رستم وبهرام والأكاسرة وملوك الحيرة^(٩٤) .

ونظرا لهذا الدور الخطير للقصة جعلها القرآن أحد أساليبه في التوجه إلى التربية الخلقية بين العباد إضافة إلى كونها أحد أساليبه في نشر الدعوة والتبشير برضوان الله والتحذير من معصيته وتثبيت قلب النبي (ﷺ) ومن آمن معه ولذلك ظهرت مبكرة مع بداية العهد المكي لتقوم بدورها في البلاغ المبين وترسيخ القيم النبيلة بين المسلمين .

* مفهوم القصة القرآنية :

تناولت القصة القرآنية مختلف نشاطات الحياة، وكذلك مختلف الميول والمشاعر والأحاسيس الانسانية، كما أنها تصور نواحي الحياة المختلفة بصدق وواقعية، فتعرض الأشخاص، وحركاتهم وأخلاقهم وأفكارهم واتجاهات نفوسهم وبيئاتهم الطبيعية

(٩٢) سورة الإسراء الآية ٨٢ .

(٩٣) سورة الشورى الآية ٥٢ .

(٩٤) الزنجشري : الكشف ج٣ ص ٢٢٩ طبع ونشر مكتبة الحلبي ١٩٦٦ م .

والزمنية، كما تمتاز باستمالة النفس إليها فتتحرك وترفع نبض المشاعر^(٩٥)، كما انها أول قصة في لغتنا العربية عرفت الإلتزام وحددت (رسالة الأدب) بمعناه الإنساني الذي يفهم الأدب على أساس وظيفته الإجتماعية التي تدعو الناس كلهم إلى الخير وتبعدهم عما ألقوه من خلق وعادات وآراء زائفة وعقائد وعبادات باطلة^(٩٦).

وقد حوى القرآن الكريم كثيراً من قصص السابقين فذكر معاشهم ووصف حياتهم وبين عقائدهم ووضح مواقفهم من رسل الله إليهم وبذلك حفظ لنا مادة طيبة للقصة القرآنية المشتملة على الأحداث والحوار والأشخاص والزمان والمكان.

وقد تكلم علماء المسلمين في مفهوم القصة وأحاطوا بمعناها.

فذكر صاحب المختار أن أصل المادة (قصص) مشتق من قص أثره أي تتبعه، والقصة واحدة القصص. هي الأمر والحديث يقال اقتص الحديث رواه على وجهه، وقص عليه الخبر، والإسم القصص بالفتح وضع موضع المصدر، والقصة: التي تكتب^(٩٧) وجاء في المصباح قصصت الخبر حدثت به على وجهه والإسم القصص بفتحين، وقصصت الأثر^(٩٨). فنرى أن مفهومها اللغوي يدور حول المتابعة لأمر والحديث عنه وروايته على وجه ورود كتابته على هذا النمط، وهذا المفهوم اللغوي موجود في القصة القرآنية لأن الذي يقرأ القرآن يلحظ أن قصه يتتبع أحداثاً وقعت ويسجلها مكتوبة على وجه ورودها بصورة حسنة. كما جاء في قوله: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾^(٩٩) والحسن كما يقول الرازي راجع إلى ألفاظ القصص ومعانيه^(١٠٠) وعلى هذا يمكن تعريف القصة القرآنية: بأنها كلام حسن في لفظه ومعناه مشتمل على أحداث حقيقية سابقة ومتضمن على ما يهدى إلى الدين ويرشد إلى الخير.

والقصة في القرآن لم يقصد بها تاريخ الرسول مع قومه وإنما المقصود ما فيها من

(٩٥) البهي الخولي: تذكرة الدعاة ص ٤٤، ٤٥ - ط ٨ دار التراث بالقاهرة ١٩٨٧ م.

(٩٦) عفيف طيارة: اليهود في القرآن ص ٢٥١ ط ١١ دار العلم للملايين بيروت ١٩٨٦ نقلاً عن الأستاذ أحمد أبو سعد: فن القصة.

(٩٧) الرازي: مختار الصحاح مادة قص ص ١٨٧ ط عيسى الحلبي بمصر بدون.

(٩٨) المصباح المنير ج ٢ ص ٧٢.

(٩٩) سورة يوسف الآية ٣.

(١٠٠) الرازي: مفاتيح الغيب ج ٥ ص ١٥٠ الطبعة المصرية ١٩٣٣.

دروس وعبر وقد شهد بذلك دكتور (فيليب حتى) فقال : (ويقصد القرآن من عرض قصصه التوسل إلى عبرة أخلاقية أو مغزى سام أو عظة أدبية مثلى كأن يعلن للناس أن الله في القديم كان يجازى المستقيم على استقامته ويعاقب الشرير على شره^(١٠١)).

* منهج القرآن في عرض قصصه :

إن القرآن الكريم حين يعرض لقصة من قصصه فإنه (يعرضها عرضاً أدبياً ويسوقها سوقاً عاطفياً يبين المعاني ويؤيد الأغراض ويؤثر بها التأثير الذي يجعل وقعها على الأنفس وقعاً استهوائياً يستثير منها العاطفة والوجدان)^(١٠٢) ومن هذا الاتجاه لا يصح أن يؤخذ على القرآن أنه لا يتناول القصة من جميع أطرافها وأن لا يتسلسل في إيراد حدوثها مرتبة منظمة ذلك لأن القرآن يأخذ من القصة ما يحقق أهدافه من التهذيب والوعظ فحينما يقص القصة كلها محبوكة الأطراف موصولة الأجزاء مرتبطاً بعضها ببعض في تسلسل واتساق حتى تصل إلى نهايتها كما هو الحال في سورة يوسف، وفي معظم الأحيان يأخذ من القصة بعضها لأن في هذا البعض ما يحقق الهدف، وقد يلمح القرآن ويشير إلى القصة تلميحاً اعتماداً على أن القصة معروفة مشهورة يقول الشيخ محمد عبده إن قصص الأنبياء والأمم في القرآن لم يقصد بها سرد الوقائع مرتبة حسب أزمنتها وإنما المراد بها الاعتبار والعظة ببيان النعم متصلة بأسبابها ومتى كان هذا هو الغرض من السياق، فالواجب أن يكون ترتيب الوقائع في الذكر على الوجه الذي يكون أبلغ في التذكير وأدعى إلى التأثير^(١٠٣).

وبالرجوع إلى كتاب (التصوير الفني في القرآن) يمكن الاستفادة من الوقوف على منهج القرآن في عرض قصصه كما أشار إلى ذلك صاحب الكتاب والذي اعتبر فيه هذا المنهج أثراً من آثار خضوع القصة القرآنية للغرض الديني كما يأتي :

١ - تكرار القصة في مواضع متباينة - لا يتناول القصة كلها غالباً وإنما هو تكرار لبعض حلقاتها وبالأخص موضع العبرة منها. أما جسم القصة كله فلا يكرر إلا نادراً

(١٠١) د . فيليب حتى : تاريخ العرب ج١ ص ١٧٢ من الترجمة العربية ط ٢ بدون .

(١٠٢) د . محمد أحمد خلف الله : الفن القصصي في القرآن الكريم ص ١٢٢ ط ٢ النهضة المصرية بالقاهرة بمصر .

(١٠٣) تفسير المنار ج١ ص ٣٢٧ ط ٣ طبع ونشر دار المنار .

ولمناسبات خاصة من السياق ، ومعنى ذلك أن القصص القرآني ليس فيه تكرار مطلق كما قد يتوهم البعض كما أن أداء بعض هذه القصص التي جاءت مطولة في بعض المواطن بعبارات أقل لا يمكن إلا مع تجاوز لبعض الأغراض التي جاءت في الغرض المطول . . أما مبدأ الإيجاز والاختصار فقد جاء به النص القرآني ذاته (١٠٤).

هذا بالإضافة إلى أنه يعرض من القصة بالقدر الذي يحتاج إليه ومن الحلقة التي تتفق معه وبدون تجاوز للوقائع التاريخية فمرة يعرض القصة من أولها ومرة من وسطها ومرة من آخرها حسبما تكمل العبرة في هذا الجزء أو ذلك .

٢ - مزج التوجيهات الدينية بسياق القصة قبلها وبعدها وفي ثناياها كذلك مع ذكر تعقيب ديني يناسب العبرة فيها . وأما ما يذكر من التوجيهات في ثناياها فما أكثره كما في قصة يوسف مع خادمي الملك حين فسر لها الرؤيا يقول ﴿ ذَلِكُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي . . . إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ (١٠٥) وكذا في قصة سليمان مع بلقيس يقول الهدهد ﴿ إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَمَلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ . . . إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٦﴾ كل ما ذكر في هذه الآيات ذكره الهدهد في ثنايا القصة ليهتدى العباد بهداه فيما يقول وهكذا لا يكون سياق القصة إلا وفي ثناياها تلك التوجيهات .

* دور القصة القرآنية في التربية الخلقية :

لقد استخدم القرآن القصة كأسلوب من أساليب التربية الخلقية والإقناع الكامل للعمل بمضمونها وتصديقاً بمفهومها من خلال التأثير الإيجابي في النفس من خلال تلاوة القرآن أو سماعه أو مدارسته لما في القرآن من براعة الأسلوب وجودة الأداء وجمال التصوير فهو القصص الحق كما قال تعالى ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾ (١٠٧) فهو حق وواقع وليس بتمثيل ولا خيال ذاهب ويظهر الدور البارز للقصة القرآنية في تربية الأخلاق مما يأتي :-

(١٠٤) سيد قطب : التصوير الفني في القرآن ص ١١٨ ، ١١٩ ، وما بعدها ط ٤ دار الشروق ١٩٨٠ .

(١٠٥) سورة يوسف الآية ٣٧ ، ٣٨ .

(١٠٦) سورة النمل الآية ٢٣ - ٢٥ .

(١٠٧) سورة آل عمران الآية ٦٢ .

١ - التذكير بالخبر الصادق كما ورد في قصة آدم^(١٠٨) التي تقص علينا نشأة الخلق ومكانة آدم بين الأنبياء وأبناء آدم بين الكائنات، وكما في قصة موسى وهارون^(١٠٩) وما كان من أمرهما مع فرعون وقصص غيرهم^(١١٠) من الأنبياء والرسل.

٢ - التربية : حيث تستخدم القصة القرآنية كوسيلة تربوية من خلال عرض القصص لمواقف إنسانية وكيف التزم المؤمن منهج الله فكانت النجاة وكان الفوز وفي قصة يوسف مع أبيه وإخوته وما كان من ابتلاء الله له مع العزيز وامرأته خير ما يحتاج إليه المؤمن من زاد حقيقى .

٣ - التعليم : فالقصة القرآنية وسيلة لتعليم أصول الدين وأدب الاستعانة بالله وآداب مخاطبة الرسول (ﷺ) وكيف يتعامل المجتمع مع أبنائه وكيف يعاقب المسيء ويشيب المحسن كما في قصة قابيل وهابيل وفي قصة موسى مع ابنتي شعيب وكلها تعلم الإنسان قواعد الدين وأصول الأخلاق وأسس الحياة الكريمة^(١١١).

٤ - كما أن القصة مجال خصيب للترغيب والترهيب ذلك لأن الإنسان إذا استثير شوقه إلى شىء ما زاد اهتمامه به وسرعان ما يتحول هذا الشوق إلى نشاط يملأ حياة الفرد عملاً وتحمساً رغبة في الحصول عليه كما أن الخوف من شىء ما يجعل الإنسان يهابه ولا يرغبه ويتعد عنه حذراً من الوقوع فيه^(١١٢) والواجب على العقلاء أن يعملوا فكرهم في قصص السابقين ويتدبروا فيه لأن القصة كما يقول الرازي (تهدى إلى الدين وترشد إلى الحق وتأمّر بالنجاة)^(١١٣) والقصص القرآنى مجال خصب للدراسة وما أكثر ما كتب فيه من رسائل ومجلدات ودراسات تناولت جوانبه المتعددة ففيه العديد من الدروس والعبر والفوائد الجمّة بما ليس من خصوص هذا البحث التعرض له .

(١٠٨) سورة البقرة ، المائدة ، والأعراف ، وطه ، ص وغيرها .

(١٠٩) في طه والشعراء والنمل والقصص وغيرها .

(١١٠) سورة الأعراف ، هود ، الأنبياء ، والشعراء وغيرها .

(١١١) د. زيدان عبدالباقى : وسائل وأساليب الاتصال ص ٢١٣ ، ٢١٤ ط ٢ مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ١٩٧٩م ، د. محمد كمال امام

النظرة الإسلامية للاعلام ص ١١٧ ، ١١٨ ط ١ دار البحوث العلمية بمصر ١٩٨١ .

(١١٢) د. أحمد غلوش : الدعوة الإسلامية ص ٣٢٧ ط دار الكتاب اللبناني - بيروت ١٩٧٩م .

(١١٣) الرازي : مفاتيح الغيب ج٢ ص ٧١٢ .

* ثالثاً: المثل في القرآن :

في البيئة العربية : استخدم العرب المثل في كلامهم وأرادوا به الشيء العجيب المدهش في صفته وحقيقته وكثيرا ما أتوا به على صورة التشبيه بأركانه والعرب لم تصنع أمثالا عبثا بل لا بد من أسباب أو جبتها وحوادث اقتضتها فصار المثل المضروب لأمر من الأمور عندهم كالعلامة التي يعرف بها الشيء وليس في كلامهم أوجز من المثل ولا أشد منه اختصاراً ومن أمثالهم ما ذكره الرازي في تفسيره (أخفى من الذرة، وأطيش من الذباب وأضعف من فراشة)^(١١٤) ومن أمثلتهم قول الشاعر :

لا تقطن ذنب الأفعى وترسلها .: إن كنت شهها فاتبع رأسها الذنبا .

وهو مثل يضرب للحث على اجتذاذ الشر من جذوره حتى لا تقوم له قائمة فيما بعد .

وقد اشتمل القرآن الكريم على كثير من الأمثال المختلفة جريا على لغة العرب، والأمثال القرآنية هادفة ولها أثرها الواضح في الإيمان بالله وتهذيب الأخلاق والتمسك بالقيم ولذا وردت كثيرا في القرآن الكريم .

* مفهوم المثل في القرآن الكريم :

المثل والمثل الشبه والشبه والشبيه وزنا ومعنى في الجملة وقيل المثل بفتحيتين معناه الوصف ومنه قوله تعالى ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ... ﴾^(١١٥) أي وصفها هكذا وبالكسر معناه الشبه، والمثل القرآني يكون حقيقة فيطلق على نفس الشيء وذاته كقوله تعالى ﴿ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ ﴾^(١١٦) أي حكايتهم كواقعها وقد يأتي على صورة التشبيه كقوله تعالى ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا . . الخ الآية ﴾ وقد عقب القرآن الكريم على هذا التشبيه بقوله ﴿ بَسْ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾^(١١٧) ومن هذه الصورة التشبيهية جاء تعريف صاحب فتح البيان للمثل

(١١٤) الرازي المرجع السابق ج ١ ص ٣٥١ .

(١١٥) سورة الرعد الآية ٣٥ .

(١١٦) سورة محمد الآية ٣ .

(١١٧) سورة الجمعة الآية ٥ .

بأنه (عبارة عن قول يشبه قولاً آخر بينهما مشابهة ليين أحدهما الآخر ويصوره)^(١١٨) وإلى هذا النوع من المثل يشير صاحب المنار (وأبلغه تمثيل المعانى المعقولة بالصورة الحسية وعكسه)^(١١٩).

هذا وفي القرآن الكريم ألفاظ جرت مجرى المثل وهو ما يعرف بالمثل السائر ومنه قوله تعالى: ﴿الْفَن حَصَحَصَ الْحَقُّ﴾^(١٢٠) ويضرب وقت ظهور الشيء واتضاحه وقوله تعالى ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾^(١٢١) يضرب للمتعارضين . ورغم اختلافهم فالكل فرح بوجهته وقوله تعالى ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾^(١٢٢) ويضرب حين الانتهاء من أمر متنازع فيه بأى وجه كان وأشباه هذا كثير في القرآن .

* دور المثل القرآني في التربية الخلقية :

يؤدي المثل دوره التربوي لما اشتمل عليه من دقة تصويرية، وإبراز للمعقول في صورة المحسوس بحيث تكون نسبته إلى العقل كنسبة المحسوس إلى الحس ويتضح هذا الدور التوجيهي بما يأتي :-

١ - التأثير النفسي : يستمد المثل القرآني دوره التأثيري من عناصر الطبيعة لتظل قريبة من الإنسان أيا كان تعيش معه وتؤثر فيه، وحتى يؤدي المثل هذه المهمة نراه يتخذ من الطبيعة ميدانا يقتبس منها صورته فمن نباتها ترى الحبة تنبت سبع سنابل، وترى الشجرة الطيبة والخبيثة، والزرع الذي أخرج شطأه، ومن حيواناتها ترى الحمار والكلب، ومن حشراتنا ترى البعوض والعنكبوت، ومن طيورها ترى المهدد، ومن أحجارها ترى الرماد الصلد والجبل ذلك لأن القرآن لا يقصد الاهتمام بالمثل به بقدر ما يهتم باقتراب الصورة في نفس الإنسان مع شدة وضوحها وتأثيرها^(١٢٣).

(١١٨) أبو الطيب القنوجي : فتح البيان في مقاصد القرآن ج١ ص ٦٢ ط ١ الطبعة الكبرى الأميرية بالقاهرة .

(١١٩) تفسير المنار ج١ ص ١٦٧ ط ٣ طبع ونشر دار المنار .

(١٢٠) سورة يوسف الآية ٥١ .

(١٢١) سورة المؤمنون الآية ٥٣ .

(١٢٢) سورة يوسف الآية ٤١ .

(١٢٣) د. أحمد غلوش : الدعوة الإسلامية ص ٣٧٤ بتصرف .

٢ - يحقق المثل هذا الدور التربوي عن طريق ترغيب الناس بالخير والثواب وترهيبهم من الشر والعقاب لأنهم بذلك يفعلون وجدانياً ويندفعون إلى الإيمان بالله والاتجاه إلى الخير وعمل الصالحات وذلك عن طريق استعراضه لطوائف الناس وبيان مصير كل طائفة، وهذا منهج عملي يجعل المستمع يتمنى أن يكون مع الطائفة الناجية ويتعد عن الطائفة الخاسرة والناس طوائف ثلاثة يضع المثل القرآني لها ما يجليها ويبين قيمتها وقيمة عملها.

فيقول عن المؤمنين: ﴿ وَصَرَكَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ الْخِ الْآيَةَ ﴾ (١٢٤) وهذا المثل يبين حقيقة المؤمن وأنه لا تغره مظاهر الحياة الدنيا. حياته كلها ذكر لله انتظاراً للفوز في الآخرة معتمداً على الله في حاجاته ومطالبه وهو ما كان من امرأة فرعون. وعن المنافقين يقول ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا . . . الْخِ الْآيَةَ ﴾ (١٢٥) وهو مثل يوضح حقيقة المنافق وأنه يعيش بالإيمان ظاهراً إلا أنه صنع بنفاقه حجاباً كثيفاً بينه وبين نور الهدى، وعن الكافرين يقول ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعُقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بِكُمْ عُنَىٰ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١٢٦) فقد مثل الكفار بالبهايم التي تسمع صيحات راعيها ولا تفهم منها شيئاً ولا تعقل أمراً ولا نهيماً وهكذا الكافر لا أثر لشيء في حياته حتى نفقته هباء لا يستفيد منها شيئاً يقول تعالى ﴿ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْ ﴾ (١٢٧) وهو يشبه نفقة الكفار بحرث لهم هبت عليه ريح فاستأصلته من جذوره، ولم تبق منه شيئاً. ومن الترغيب والترهيب بالمثل ما جاء من وصف الجنة وصفاً شيقاً يبرز محاسنها كما في سورة الرعد (١٢٨) وسورة محمد (١٢٩) وهكذا يبرز المثل الجنة في صورة حسنة جميلة نافعة كما يبرز ما ينتظر الكافرين من سوء العقاب جزاء عصيانهم كما جاء في سورة النور (١٣٠)، حيث ترسم الآية مشهداً مثيراً ومؤثراً لسوء المصير الذي ينتظرهم يوم القيامة وهكذا يحقق المثل دوره التأثيري في

(١٢٤) سورة التحريم الآية ١١.

(١٢٥) سورة البقرة الآية ١٧.

(١٢٦) سورة البقرة الآية ١٧١.

(١٢٧) سورة آل عمران الآية ١١٧.

(١٢٨) سورة الرعد الآية ٣٥.

(١٢٩) سورة محمد الآية ١٥.

(١٣٠) سورة النور الآية ٤٠.

التوجيه عن طريق المناصحة والإرشاد يقول الإمام السيوطي (إنما ضرب الله الأمثال في القرآن تذكيراً ووعظاً) (١٣١) وجاء في البرهان (وضرب الأمثال يستفاد منه التذكير والوعظ والحث والزجر، والاعتبار والتقرير . . الخ) (١٣٢) قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ (١٣٣) وهكذا يقوم المثل بدوره في التربية والتمسك بالقيم الرفيعة، على قدر الطاقة البشرية فيستنزل المعاني الصعبة ويجعلها في متناول العقل الإنساني وذلك في بيان معجز وترتيب عجيب.

* رابعاً: التاريخ الإنساني :

مفهوم الكلمة: قال صاحب القاموس: أرخ الكتاب فأرخه وآرخه وقته، والإسم الآرخة بالضم وجاء في لسان العرب أرخ التاريخ: تعريف الوقت، والتورخ مثله، أرخ الكتاب بيوم كذا وقته والواو فيه لغة يقال: أرخت الكتاب فهو مؤرخ. وعلى هذا فالتاريخ التوقيت: أي تحديد اليوم والشهر والسنة ثم اتسع مدلوله حتى شمل تحديد حادث ما ورواية هذا الحادث والتاريخ هو سجل أحداث الأمم وديوان عبرها، والعلم الذي يشرح قصة الجنس البشري في الوجود، وهو المرأة التي تتجلي فيها سنن الله في الكون عامة وفي المجتمعات البشرية خاصة، والمستودع الذي تستقى منه الأمم العبر والدروس بالنظر فيما أدت إليه أحداث الماضي، والمؤثر الذي يضع أيديها على مواطن القوة والضعف في حياة الأمم وكيف تعمل سنن الله في المجتمعات وفق ضوابط ثابتة لا تجابى أمة ولا تجامل شعباً (١٣٤).

* أهمية التاريخ في حياة الأمم :

ليس التاريخ سجلاً تدون فيه قوائم المواليد والوفيات فقط، كما أنه ليس مجرد قصص تروى عن السابقين، وإنما هو بمثابة الذاكرة الواعية التي تمد الأمم بالعبرة والتجربة في شؤون الحياة وتدلها على أصول التمكين وقواعد البقاء والارتقاء، وله دوره الواسع

(١٣١) السيوطي: الإتقان ج٢ ص ١٣١ ط ٣ طبع ونشر الحلبي بمصر ١٩٥١.

(١٣٢) الزركشى: البرهان ج١ ص ٤٨٦.

(١٣٣) سورة العنكبوت الآية ٤٣.

(١٣٤) د. جمعة الخولي: تاريخ الدعوة ج١ ص ٧ ط ١ دار الطباعة المحمدية بالقاهرة ١٩٨٤.

في انبعاث وبقظة الأمم وفي توجيه الأفراد والشعوب بما تنطوي عليه من عوامل القدوة والتأثير، والأمم الواعية هي التي تستفيد من تاريخها وتعالج مشاكلها وأخطائها على ضوء الماضي وتحاول أن تربط الحوادث والوقائع بأسبابها وعللها الدينية والأخلاقية جاء في دائرة المعارف (علم التاريخ هو محل العبرة ومثار العظات ومصدر العلم والسنن الإلهية في تكوين الأمم وإسعادها وإهباطها، وعلم هذا شأنه جدير بأن يكون في مقدمة العلوم اعتباراً وفي صدرها إكباراً) (١٣٥).

والتاريخ البشري حافل بألوان مختلفة من الصراع على مستوى الأفراد والجماعات أو الأمم أو الأجيال ويبدو للوهلة الأولى أن الصراع سنة من سنن الله في الأرض، وأن الحياة لا تخلو في لحظة من لحظاتها من وجود صراع فيها بين بعض البشر وبعض بل بين بعض الكائنات وبعضها الآخر، وقد أوجد الله الصراع في حياة البشر وجعله سنة من سننه التي تجري بها الحياة البشرية لغاية معينة. ومن ثم فهو صحيح ومشروع بل مطلوب وواجب حتى يؤدي تلك الغاية (١٣٦) لقوله تعالى ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾ (١٣٧) وقوله تعالى ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾ (١٣٨) وهذا هو التدافع المطلوب وتلك حكمته وغايته، والحياة بدونه تتعرض للفساد كما جاء في الآية الأولى صراحة. ويحدث الفساد بتفلسف الناس من التكاليف دون أن يجدوا من يدفعهم إلى الالتزام بها فإذا ماركنوا إلى شهواتهم فسدت الأرض بهذه الشهوات غير المنضبطة كما قال تعالى: ﴿ ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ﴾ (١٣٩) ومعنى ظهر الفساد تمكن واستشرى واستفحل فلا بد من قوة مقابلة تدفع هذا الفساد وهي قوة المؤمنين الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويجاهدون الفساد في الأرض ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ . . الخ الآية ﴾ (١٤٠) من أجل ذلك جعل الله التدافع بين الناس سنة من سننه حتى لا تفسد الأرض وبناء على ذلك

(١٣٥) محمد فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين ج١ ص ١٥٢ ط ١٩٧١ م.

(١٣٦) محمد قطب : حول التفسير الإسلامي للتاريخ ص ١٥ ، ص ١٥٥ ط ٣ نشر المجموعة الاعلامية - السعودية ١٩٨٩ م.

(١٣٧) سورة البقرة الآية ٢٥١ .

(١٣٨) سورة الحج الآية ٤٠ ، ٤١ .

(١٣٩) سورة الروم الآية ٤١ .

(١٤٠) سورة آل عمران الآية ١١٠ .

ينقسم التاريخ ابتداء إلى قسمين كبيرين : تاريخ الأمم المؤمنة ، وتاريخ الأمم غير المؤمنة ، ثم ينقسم تاريخ الأمم المؤمنة الى فترات ثلاث :

١ - الأمم القديمة قبل رسالة موسى عليه السلام وتشمل أمة نوح وهود وصالح و ابراهيم عليهم السلام .

٢ - تاريخ اليهود والنصارى حتى البعثة النبوية .

٣ - تاريخ الأمة الإسلامية من البعثة النبوية حتى الوقت الحاضر .

والتاريخ يبين أن البشرية بدأت مؤمنة موحدة من لدن آدم عليه السلام ثم طرأ عليها الانحراف بعد ذلك وقد أشار القرآن الكريم إلى وحدة العقيدة على لسان الرسل والأنبياء جميعاً حيث قال كل واحد منهم لقومه : ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾^(١٤١) وأن هذا الأصل لم يتطور ولم يتغير على مدى التاريخ الإيماني وإنما تغيرت الشرائع بما يناسب كل قوم أرسل إليهم رسول حتى جاءت الرسالة الخاتمة ، أما تاريخ الأمة الإسلامية فيركز على فترات ثلاث (ليست زمنية بقدر ما هي نوعية) هي :

١ - فترة الذروة وما صاحبها من تمكين فائق .

٢ - فترة التطبيق العادي وما صاحبها من التمكين العادي .

٣ - فترة الانحسار وتزايد البعد عن حقيقة الإسلام وما صاحبها من زوال السلطان وغلبة الأعداء وهذا وفق السنن الربانية التي لا تتبدل ولا تتحول ولا تحابي أحدا من البشر ، أما تاريخ الجاهليات فيشار فيه إلى تشابه الجاهليات كلها في أصل واحد هو عبادة غير الله وعدم اتباع المنهج الرباني في الحياة ، ثم تفترق الجاهليات بعد ذلك فيكون لكل منها سماتها الخاصة المستمدة من ظروفها الخاصة ويمكن أن يشار في هذا التاريخ الى تطور العقائد الجاهلية وتأثرها بأحوال البشر ومدى سيطرة الوهم والخرافة عليهم وكذا انحرافات الجاهلية المعاصرة في السياسة والاقتصاد والاجتماع والأخلاق والفكر والفن^(١٤٢) . . الخ .

(١٤١) سورة الأعراف الآيات ٥٩ ، ٦٥ ، ٧٢ ، ٨٥ ، سورة هود ٥٠ ، ٦١ ، ٨٤ .

(١٤٢) راجع : محمد قطب حول التفسير الإسلامي للتاريخ ص ٢٢٠ - ٢٢٣ مرجع سابق بتصرف .

وبيان مجرى السنن الربانية من هذه الانحرافات، ومدى إرتباط هذه السنن بسيطرة المعسكر الغربي اليوم وأسباب ذلك وغياب الأمة الإسلامية عن الساحة، تتضح معالم التاريخ وتتضح السنن الربانية التي يجرى من خلالها قدر الله .

وفي هذا من الفوائد ما يكفل للأمة أن تسلك سبيل التقدم والازدهار وتبتعد عن طريق الخراب والدمار وفي كل عظة وعبرة وتذكير واقتداء .

* دعوة القرآن إلى الاعتبار بالسابقين :

لفت القرآن الكريم الأنظار إلى كثير من أخبار الأمم الماضية ليحقق من وراء ذلك ذكرى وعبرة وجاءت دعوة القرآن الكريم بالتوجه الى السير والنظر في ثلاث عشرة آية في كتاب الله منها ما ورد بالأمر صراحة^(١٤٣) ومنها ما يفهم بالأمر من سياقها، وكلها تأتي بعد إخبار بالقصص تأكيداً لإخبارها بالرؤية وتكميلاً بالتدبر والتفكير، والتصريح بالأمر كما في قوله تعالى : ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾^(١٤٤) وفيها جميعاً أمر واضح للناس بالسير في الأرض حيث مواطن الأمم السابقة لينظروا ما حدث لهم ويتأكدوا من سنة الله الخالدة في خلقه ويعرفوا عاقبة المكذبين المشركين .

وأما المواضع السبعة الباقية التي يفهم الأمر من سياقها ففي قوله تعالى^(١٤٥) ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ ويلاحظ أن هذه المواطن السبعة وردت بإحدى صيغتين هما ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا ﴾ أو ﴿ أَوْلَمْ يَسِيرُوا ﴾ وهذا مشتمل على الحث على السير مع التدبر لأن الصيغة كما يقول الرازي تحمل أمرين : أولها أنهم أهملوا المسير فحثوا عليه . وثانيهما : أنهم ساروا ولم يعتبروا فأمروا بالاعتبار الذي هو المهم^(١٤٦) وقد اكتفى بذكره أبو السعود - ليرددوا فكرهم في كل ما يرون من أحوال الأمن قبلهم وأثر قدرة الله فيهم وخاصة عند مجيء أمره بإنجاء المؤمنين وإهلاك الكافرين ، وهذا يجعل

(١٤٣) ورد الأمر صراحة في آل عمران ١٣٧ ، الأنعام ١١ ، النحل ٣٦ ، النمل ٤٩ ، الروم ٤٢ ، العنكبوت ٢٠ .

(١٤٤) سورة آل عمران الآية ١٣٧ .

(١٤٥) وردت الآيات في سورة يوسف ١٠٩ ، الحج ٤٦ ، الروم ٩ ، فاطر ٤٤ ، غافر ٢١ ، ٨٢ ، ومحمد ١٠

(١٤٦) انظر الرازي : مفاتيح الغيب ج ٦ ص ٢٤١ مرجع سابق .

الناظر فيها عالماً بأن العاقبة لم تحكم بأمر طبيعي عادي بل إن الله عندما يعاقب يأخذ أخذ عزيز مقتدر، إنظر الى ما حدث لقوم نوح حيث اجتمع المؤمنون في سفينة أبحرت على سطح الطوفان ونجت بهم في الوقت الذي غرق بهذا الطوفان كل الكافرين وكذلك ما حدث لعاد^(١٤٧) وثمرود وغيرهم وكل ما تضمنه هذا القصد من وعد للمطيع ووعيد للعاصي هو من الترغيب والترهيب .

والقرآن الكريم أشار إلى مقصده في العبرة بعد ذكره لقصة نوح بإيجاز ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾^(١٤٨) ومعناها كما جاء في الجلالين جعلناها عبرة لمن بعدهم من الناس إن عصوا رسلهم^(١٤٩)، والحادثة تشير إلى القدرة الإلهية التي أمرت بصنع السفينة وإنجائها من الرياح الهوجاء ولتكون عبرة للناس بعد ذلك .

كما أبقى الله جسد فرعون بعد إغراقه للعبرة والعظة فقال تعالى : ﴿ فَأَلْوَمُنَّجِيكَ بِدَنِكَ لَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً ﴾^(١٥٠) ذلك لأن فرعون وقومه لما غرقوا نزلت أجسادهم جميعاً إلى قاع البحر إلا جسد فرعون فإنه طفى على سطح الماء عارياً من اللباس كاملاً لم يقتطع شئ منه ليكون آية يعتبر بها بنو اسرائيل وهم معاصروه وكل من يأتي بعدهم من الأمم^(١٥١)

وليس هذا هو هدف قصة فرعون وحدها وإنما هو هدف سائر القصص ولهذا تكرر في سورة الشعراء عقب كل قصة من قصصها قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ﴾^(١٥٢) ولذا يشير الزمخشري إلى روعة الآيات بقوله وأية آية لا توصف وقد شاهدها الناس وشاع أمرها^(١٥٣) فيهم وعليهم أن يعتبروا ويتفكروا قال تعالى ﴿ لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾^(١٥٤) وقوله ﴿ فَأَقْصِصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾^(١٥٥) فلو تفكروا لفعلوا، ولو كانوا أصحاب عقل لاتعظوا واعتبروا ولا ندفعوا إلى الإيثار بالله ورسوله .

(١٤٧) سورة الحاقة الآية ٥ : ٧ .

(١٤٨) سورة العنكبوت الآية ١٥ .

(١٤٩) انظر تفسير الجلالين : ج ٢ ص ٥٥ .

(١٥٠) سورة يونس الآية ٩٢ .

(١٥١) تفسير أبي السعود ج ٢ ص ٣٨٤ .

(١٥٢) سورة الشعراء ٦٧ ، ١٠٣ ، ١٢١ ، ١٣٩ ، ١٥٨ ، ١٧٤ ، ١٩٠ .

(١٥٣) الزمخشري : تفسير الكشاف ج ٣ ص ١١٥ ط الحلبي ١٩٦٦ م .

(١٥٤) سورة يوسف الآية ١١١ .

(١٥٥) سورة الأعراف الآية ١٧٦ .

* التاريخ ودوره في التربية الخلقية :

من الواجب أن لا ينظر إلى التاريخ على أنه تسلية لقطع الوقع في غير عناء وإنما ينظر إليه على أنه مستودع لأخطاء البشرية وصوابها وضلالها وهداها، وما جنت في عواقبها من خير أو شر . فيكون دافعا لاستخلاص العبرة والعظة فيعمل من خلال ذلك على استقامة المنهج وتصحيح السلوك تأسياً بما استوحاه الناس من حوادث الزمن وما جبلت عليه الطبائع في ذاتها منذ زمن بعيد .

ومن هنا كان الغرض من سياق التاريخ في القرآن هو تربية النفوس وعلاج الإنسانية ذلك لأنه يتناول الغرائز الأصيلة في الإنسان ومعايير المعرفة ويؤرخ لها ويذكر أثرها وما أحدثته في بيئتها من خير أو شر .

أما الغرائز العارضة والطباع المتغيرة فلا يحفل القرآن بتاريخها لانذارها وبطلان تأثيرها كلما تغير الزمان والمكان والقرآن الكريم في عرضه للحوادث لا يسرد وقائعها وإنما يقف فقط على اللب الذي هو عبرة الحادث فمثلا في ذكره لموقعة طالوت وجالوت^(١٥٦) لم يسردها السرد التاريخي ولكن يعرضها العرض الذي يعيد صورتها إلى الأذهان فليست الصورة الظاهرية بذات بال ولكنه يكتفي بما يشعر أن هناك فئة مؤمنة قليلة جدا تقاتل في سبيل الله، وأخرى كافرة كثيرة . . فأيد الله المؤمنين على قتلهم على عدوهم بالرغم من تسلحهم بالعدد والعدة وهذا درس في التربية يبين أثر الإيمان في تثبيت القلوب واستنهاض العزائم، والإقدام واستنزال النصر من الله العزيز الحكيم^(١٥٧) .

وهكذا كل قضية تاريخية تتعلق بقضايا الإنسان هي قضايا تربوية إذا اعتبرنا التربية (فن تشكيل الإنسان على نمط معين) تحدده العقيدة أو المبدأ الذي يدين به مجتمع معين أو فئة معينة، ومن هنا كانت دراسة التاريخ بالذات من القضايا التربوية المباشرة إذا وضعنا في الاعتبار أن التاريخ ليس مجرد سرد للأحداث التاريخية إنما هو الى جانب ذلك تفسير لتلك الأحداث وتقويم لها، والتفسير والتقويم يشملان ذات القيم والمبادئ والأفكار التي تقوم عليها التربية وتسعى إلى تحقيقها، ومن ثم فصلته بها صلة وثيقة ومباشرة بحيث

(١٥٦) سورة البقرة الآية ٢٤٩ ، ٢٥٠ .

(١٥٧) راجع البهي الحولي : تذكرة الدعاة : ص ٣٦٣ - ٣٦٥ بتصرف ط ٨ دار التراث بالقاهرة ١٩٨٧ .

يمكن القول إن درس التاريخ في حقيقته درس في التربية وأن تفسير التاريخ أمر ذو أهمية بالغة في تكوين الأمة التي يراد لها أن تتربي بدراسة التاريخ^(١٥٨) ، وفي تاريخ الأنبياء في القرآن سجل حافل لكل من يريد أن يستقيم على الحق ويهتدى على المنهج الأقوم فيحقق كيانه بكل مقوماته وبكل مكوناته سواء منها توجهه إلى خالقه بالعبادة أو توجهه إلى إقامة مجتمع فاضل بالقيم الرفيعة والأخلاق العالية . أو توجهه للتعرف على الكون المادي أو توجهه لاستثمار معرفته في تحسين أحواله المعيشية وترقيتها . الخ والمفتاح الذي يحقق ذلك كله هو الإيثار بالله واتباع منهجه في الحياة .

* خامساً : القدوة :

إن القدوة الحسنة والمثل التنفيذي من أهم الأسس في التربية الخلقية وهذا ما فعله الرسول (ﷺ) حين قام بتنفيذ كل ما في القرآن الكريم وتطبيقه تطبيقاً عملياً في حياته الشخصية وفي علاقته مع من حوله من الناس وقد جاء الوعيد الشديد من الله على عدم مطابقة العمل للقول فقال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ ﴿١﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ كما ذم القرآن بنى إسرائيل لمخالفة فعلهم لما قالوه قال تعالى ﴿ أَنَا مُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنَسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ﴾ ﴿١٦٠﴾ والدعاة إلى الحق والفضيلة هم الذين يجمعون إلى علمهم العمل بما يدعون إليه فتحسن بهم القدوة وتعظم الأسوة ، فيتأثر الناس بسلوكهم وثبات أخلاقهم فالناس لا يرون نموذجاً طيباً إلا سارعوا إلى الالتفاف حوله ذلك لأن التقليد عريق في بنى الإنسان يميل إليه بفطرته فإذا ما وجد المثل العليا أمامه زاد شوقاً إليها . لذلك كان رسول الله (ﷺ) أعظم قدوة للبشرية في تاريخها الطويل وكان مريباً وهادياً بسلوكه الشخصي قبل أن يكون بالكلام الذي ينطق به قال تعالى ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ ﴿١٦١﴾ . فكان (ﷺ) آية من آيات الله حيث تجمعت فيه شخوص كثيرة مجتمعة في شخص واحد ، كل واحد منها متكامل في ذاته كأنه متخصص في جانبه منقطع له ، ثم تجتمع الشخوص كلها على تكامل كل منها فتكامل على نطاق أوسع ،

(١٥٨) محمد قطب : حول التفسير الإسلامي للتاريخ ص ٥ بتصرف ط ٣ نشر المجموعة الإسلامية - السعودية ١٩٨٧ م .

(١٥٩) سورة الصف الآية ٢ ، ٣ .

(١٦٠) سورة البقرة الآية ٤٤ .

(١٦١) سورة الأحزاب الآية ٢١ .

وتتناسق في محيطها الشامل وتتألف منها نفس واحدة تجمع كل النفوس ، ففيه نماذج مضيئة لكل من يتمنى أن يحقق الآمال العريضة والأخلاق الفاضلة والمثل العالية في كل نواحي الحياة ، ففيه المثل الأعلى للسياسي المحنك وللقائد المظفر الذي استطاع أن يكون أمة من العدم ويقودها من نصر الى نصر ، وفيه المثل الأعلى كأب وزوج ورب أسرة كبيرة كثيرة النفقات . . نفقات النفس والفكر والشعور فضلاً على نفقات المال ، وفيه المثل الأعلى كصديق وقريب وصاحب للناس تشغله همومهم ، وتملاً نفسه مشاعرهم ، فيعينهم ويزورهم ويمنحهم من مودته وعطفه ، وفيه المثل الأعلى في قوة الصلة بالله فهو عابد متحنث لربه منقطع للعبادة ، متخصص لأدائها ، لا يشغله عنها شيء ، ومع ذلك كله فهو قائم على أعظم دعوة شهدتها الأرض ، ولقد كانت حكمة الله سبحانه من بعثه على هذه الصورة المتكاملة الشاملة العظيمة كحكيمته في إنزال القرآن على هذا النهج الشامل المعجز العظيم ، فكان محمد (ﷺ) في كونه آية كفتاً لهذا القرآن ، وكان خلقه القرآن ، وكان قدوة للناس في واقع الأمر لأنهم يرونه واقعاً متحركاً بينهم ، وعن طريقه أنشأ الله هذه الأمة التي يقول فيها سبحانه ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (١٦٢) وبه من الله على تلك الأمة ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (١٦٣) .

والتأسي والافتداء بالرسول (ﷺ) باق إلى يوم القيامة ذلك لأن شخصية الرسول (ﷺ) ليست آية عصر ولا جيل ولا أمة ولا بيعة ولا مذهب انها آية للناس كافة وللأجيال كافة ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (١٦٤) ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ (١٦٥) فهو للعاملين كلهم وللناس كافة في جميع الأزمان والأماكن في كل الأرض وإلى كل جيل آية باقية (١٦٦) لا تذهب ولا تنقص ولا تزول وستظل سيرته حين تقرأ تهز أوتار النفوس ، وتأخذ بمجامع القلوب وتتغلغل فيها إلى الأعماق .

(١٦٢) سورة آل عمران الآية ١١٠ .

(١٦٣) سورة آل عمران ١٦٤ .

(١٦٤) سورة الأنبياء الآية ١٠٧ .

(١٦٥) سورة سبأ الآية ٢٨ .

(١٦٦) انظر . محمد قطب : منهج التربية الإسلامية ج ١ ص ١٨٠ - ١٨٤ بتصرف ط ٤ دار الشروق ١٩٨٠

* دور القدوة في التربية الخلقية :

يرى الإسلام أن القدوة أعظم أساليب التربية فيقيم تربيته الدائمة على هذا الأساس . . فلا بد للطفل من قدوة في أسرته ووالديه لكي يتشرب منذ طفولته المبادئ الإسلامية وينهج على نهجها الرفيع ، ولا بد للناس من قدوة في مجتمعهم تطبعهم بطابع الإسلام وتقاليده النظيفة لكي يحملوا الأمانة لمن يربونهم من الأجيال ، ولا بد للمجتمع من قدوة في قائدهم أو زعيمهم أو حاكمهم تتحقق في شخصه المبادئ وينسج على منواله المحكومون ، وليس ذلك بدعا في واقع النفوس وواقع الحياة ، فالأمم تعيش أجيالاً على سير أبطالها المحليين الصغار الذين يلبون حاجة جيل معين في بيئة معينة في بقعة محدودة من الأرض ، وكلما ارتفع البطل في مقياس الإنسانية كانت حياته أشمل وأطول وأخلد على مر الأزمان ، فكيف بالرحمة المهداة والسراج المنير ، لقد بعثه الله للناس كافة وللعالمين . وهو أعلم حيث يجعل رسالته ، وقد جعله القدوة الدائمة للبشرية يعيشون من نوره ويتربون على هديه ويرون في شخصه الكريم الترجمة الحية للقرآن فيؤمنون بهذا الدين على واقع تراه أبصارهم محققاً في واقع الحياة . متجددة على مر الأجيال متجددة في واقع الناس ، والإسلام لا يعرض هذه القدوة للإعجاب والتأمل فقط وإنما يعرضها عليهم ليحققها المسلمون في ذوات أنفسهم كل بقدر ما يستطيع ومن ثم تظل حيويتها دافقة ولا تتحول إلى خيال ، ذلك لأن الإسلام يقيم منهجه التربوي على أساس قيمه ومبادئه فيجعله منهجاً شاملاً متكاملأ يبدأ بولي الأمر وينتهي بالطفل الرضيع ، وحتى يتكون مجتمع اسلامي فلا بد أن يشرب أطفاله مبادئ الإسلام عن طريق القدوة القائمة في هذا المجتمع متمثلة في الأسرة والوالدين ، والأسرة هي المحضن الأول الذي يبذر في نفس الطفل أول بذوره ويكيف بتصرفاته مشاعر الطفل وسلوكه ، ومن ثم ينبغي أن تكون الأسرة مسلمة حتى ينشأ جيل مسلم يحقق في نفسه مبادئ الإسلام . يأخذها بالقدوة المباشرة المنقولة عن قدوة الرسول (ﷺ) . كما ينبغي أن تكون سيرة الرسول جزءاً لا يتجزأ من منهج التربية سواء في المنزل أو المدرسة أو الكتاب أو الصحيفة أو المذياع أو التلفاز لتكون القدوة دائمة وحية في المشاعر والأفكار (١٦٧) ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكْدًا﴾ (١٦٨).

(١٦٧) راجع : منهج التربية الإسلامية مرجع سابق ص ١٨٥ ، ١٨٧ ، ٢١٦ - ٢١٨ بتصرف .

(١٦٨) سورة الأعراف الآية ٥٨ .

وبعد:

فما زال المجال فسيحاً للحديث عن التربية الخلقية في القرآن الكريم بدراسة ما ورد فيه من أساليب كثيرة ومتنوعة ، ذكرت بعضها منها وسكت عن البعض الآخر حتى تحين الفرصة لبحثها ودراستها في ضوء القرآن الكريم لما لها من أهمية في تربية العقول وإصلاح القلوب وتهذيب النفوس والأخذ بيد الإنسان نحو الكمال ، وما كان إمساكاً عن الكتابة لما تبقى من الأساليب التربوية للأخلاق في القرآن كالتربية ، والتوبة والاستغفار . . الخ الا التزاماً بالمساحة المتاحة والقدر المسموح به في هذا المجال .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، ، ،



أهم مراجع البحث

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ط حلب ١٩٨٠ م .
- ٣ - ابن منظور : لسان العرب ط دار لسان العرب - بيروت ١٩٥٥ م .
- ٤ - ابن هشام : السيرة النبوية تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - القاهرة كتاب التحرير ١٣٨٣ هـ .
- ٥ - ابن مسكويه : تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ط ١ - المطبعة الأدبية - القاهرة - ١٣١٧ هـ .
- ٦ - أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين - ط دار الفكر بيروت ١٣٥٦ هـ .
- ٧ - أبو الطيب القنوجي : فتح البيان في مقاصد القرآن - ط ١ المطبعة الكبرى الأميرية بالقاهرة .
- ٨ - الشيخ ابراهيم الدسوقي : الدعوة الإسلامية علماً وعملاً . ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - بمصر - العدد ١٨ - ١٩٨٧ م .
- ٩ - الاستاذ أحمد أمين : الأخلاق ط ٣ دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٧٤ م .
- ١٠ - د . أحمد غلوش : الدعوة الإسلامية ط ١ دار الكتاب المصري ، دار الكتاب اللبناني - بيروت ١٩٧٩ م .
- ١١ - الاستاذ أنور الجندي : الإسلام والدعوات الهدامة ط ١ دار الكتاب اللبناني بيروت ١٩٧٤ م .
- ١٢ - الأستاذ البهي الخولي : تذكرة الدعوة ط ٨ دار التراث بالقاهرة ١٩٨٧ م .
- ١٣ - د . جمعه الخولي : تاريخ الدعوة ط ١ دار الطباعة المحمدية بالقاهرة ١٩٨٤ م .

- ١٤ - الرازي : مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) المطبعة المصرية ١٩٣٣ م.
- ١٥ - الرازي : مختار الصحاح ط عيسى الحلبي بمصر بدون .
- ١٦ - الزمخشري : تفسير الكشاف - طبع ونشر مكتبة الحلبي ١٩٦٦ م.
- ١٧ - د. زيدان عبدالباقي : وسائل وأساليب الاتصال ط ٢ مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ١٩٧٩ م.
- ١٨ - الشهيد سيد قطب : في ظلال القرآن ط ٤ دار الشروق ١٩٧٨ م.
- ١٩ - الشهيد سيد قطب : التصوير الفني في القرآن الكريم ط دار الشروق ١٩٨٠ م.
- ٢٠ - السيوطي : الإتفاق في علوم القرآن ط ٣ طبع ونشر الحلبي بمصر ١٩٥١ م.
- ٢١ - د. عبدالكريم زيدان : أصول الدعوة ط ٣ دار عمر بن الخطاب للطباعة والنشر - اسكندرية - مصر ١٩٧٦ م.
- ٢٢ - د. عبداللطيف العبد : الأخلاق في الإسلام ط ٢ دار الاشعاع للطباعة بالقاهرة ١٩٨٥ م.
- ٢٣ - عفيف طباره : اليهود في القرآن - ط ١١ دار العلم للملايين - بيروت ١٩٨٦ م.
- ٢٤ - الشيخ على محفوظ : هداية المرشدين . . ط ٩ دار الإعتصام بالقاهرة ١٩٧٩ م.
- ٢٥ - الفيروز أبادي : القاموس المحيط : ط ٢ مصطفى الحلبي وأولاده ١٩٥٢ م.
- ٢٦ - د. محمد عبدالله دراز : الدين - مطبعة السعادة بالقاهرة ١٩٦٩ م.
- ٢٧ - د. محمد عبدالله دراز : المختار من كنوز السنة ط ٤ أمير دولة قطر .
- ٢٨ - د. محمد عبدالله دراز : دراسات إسلامية في العلاقات الإجتماعية والدولية ط ٢ - دار القلم الكويت ١٩٧٤ م.
- ٢٩ - د. محمد يوسف موسى : مذكرات في علم الأخلاق - مطبعة شبرا ومكبتها

بالقاهرة ١٩٣٩ م.

- ٣٠ - محمد رشيد رضا : تفسير المنار ط ٣ طبع ونشر دار المنار .
- ٣١ - محمد جمال الدين القاسمى : موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين - ط ٥ دار
النفائس - بيروت ١٩٨٦ م .
- ٣٢ - محمد فريد وجدى : دارة معارف القرن العشرين ط ٣ ١٩٧١ م .
- ٣٣ - د . محمد احمد خلف الله : الفن القصصي في القرآن الكريم ط ٢ طبع ونشر مكتبة
النهضة المصرية بالقاهرة .
- ٣٤ - د . محمد كمال إمام : النظرة الإسلامية للإعلام ط ١ دار البحوث العلمية بمصر
١٩٨١ م .
- ٣٥ - الأستاذ محمد قطب - منهج التربية الإسلامية ط ٤ دار الشرق ١٩٨٠ م .
- ٣٦ - الأستاذ محمد قطب - حول التفسير الإسلامى للتاريخ ط ٣ المجموعة الإعلامية
بالسعودية ١٩٨٩ م .
- ٣٧ - الشيخ محمد الغزالي : خلق المسلم ط ٨ مطبعة حسان بالقاهرة ١٩٧٤ م .
- ٣٨ - الشيخ محمود شلتوت : الإسلام عقيدة وشريعة ط ١ مطبعة الأزهر نشر إدارة
الثقافة الإسلامية ١٩٥٩ م .
- ٣٩ - د . محمود حمدى زقزوق : مقدمة في علم الأخلاق ط دار القلم بالكويت .
- ٤٠ - د . يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة ط ٤ مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٧٩ م .

فهرس البحث

الصفحة	الموضوع
٥٠٩	* تقديم
٥١٠	* تمهيد
٥١١	مفهوم الخلق
٥١٧	العلاقة بين الإسلام والخلق
٥١٩	مدى ارتباط الخلق بالعقيدة
٥٢٣	منزلة الأخلاق في الإسلام
٥٢٥	أساليب القرآن في تهذيب الأخلاق
٥٢٦	أولاً : الوعظ والإرشاد
٥٢٧	أسلوب الموعظة في القرآن الكريم
٥٢٩	أنواع الموعظة : تعليم ، تأديب
٥٣١	ثانياً : القصة القرآنية
٥٣١	مفهوم القصة القرآنية
٥٣٣	منهج القرآن في عرض قصصه
٥٣٤	دور القصة القرآنية في التربية الخلقية
٥٣٦	ثالثاً : المثل في القرآن
٥٣٦	مفهوم المثل
٥٣٧	دور المثل القرآني في التربية الخلقية
٥٣٩	رابعاً : التاريخ الإنساني
٥٣٩	أهمية التاريخ في حياة الأمم
٥٤٢	دعوة القرآن إلى الإعتبار بالسابقين
٥٤٤	التاريخ ودوره في التربية الخلقية
٥٤٥	خامساً : القدوة
٥٤٧	دور القدوة في التربية الخلقية
٥٤٩	أهم مراجع البحث
٥٥٣	* فهرس البحث